تعاليقٌ نقديّة على ترجمات عبدالعزيز العيّادي الدُّلوزيّة

غـادة زقـروبـة

تقديم

ليس الغرض من هذه التعاليق النقديّة التقليل من جهد المُترجِم ولا من قيمته العلميّة على كامل مسيرته كتابةً وتدريسًا وترجمةً، بل الغرض هو النّقد المجرَّد على جهة التصويب والتنبيه والفسر. وفي بعض هذا النّقد مُعاتبة لواحد من رجال العلم، إذ نؤاخذه على زللٍ لا يليقُ بالفلسفة، ولا بالثّقة التي أوْدَعْناها في المقام العلميّ الذي يمثّله، فمن المفترض أنّنا نتعلّم عليه لا أن نُحقّق في ما اشتغله. وإذ نقول "زلل لا يليق بالفلسفة" فذلك ما ستعرفه عزيزنا القارئ أثناء هذا التحقيق النقديّ. ولعلّ ما سنقدِّمه في هذه التعاليق يكون سبيلًا ليُدرك حضرة المُترجِم المُحترم ما غاب عنه لقلّة صبره على النصوص، وسبيلًا لبسط مفاهيم مستحدثة في الفلسفة لم يتعوَّد عليها القارئ العربيّ عمومًا ومتفلسفة ديارنا العربيّة على وجه الخصوص. أمّا الأكيد أنَّ هذه التعاليق النقديّة ستُسهم بشكل أو بآخر في فكٍّ كثير من الإلغاز الذي صاحبَ تفهُّم الكتب الثلاثة لدلوز وغواتّاري في لساننا العربيّ (الصادرة جميعها عن "منشورات الجمل" 2021 و2023 ثم 2024) وبخاصّة جُزْأَيْ **رأسماليّة وفُصام** *Capitalisme et schizophrénie* الصادران على التوالي 1972 ثم 1980 عن دار Minuit الفرنسيّة الشهيرة. والحق نقول، إنَّ هذا الإلغاز محمول على الترجمة العربيّة للنصيْن لا على المتن الفرنسيّ الأصل، فالمتن في لسانه لا يشكو الإلغاز، وما عليه من قوّة علميّة وشدّة نظريّة وكثافة مفاهيميّة تبلغ بقارئها أحيانًا حدّ الدُّوار، فيبرِّرها اعتماد منهج مستحدث في التفكير الفلسفي وهو "منهج التحليل الفُصاميّ". وهذا المنهج هو طريقة في التحليل العلمي وافدة على الفلسفة من التحليل النفسانيّ. و"التحليل الفُصامي" مُستحدث حتى في الحقل النفسانيّ حيث أبدعه فِلِكس غواتّاري Félix GUATTARI ضمن مشروعه في **"اللاوعي المكني"** (*L'inconscient machinique*) الذي انشقَّ به عن المدارس التقليديّة في علم النفس بعامة وعن المدرسة اللاكانيّة بخاصة (نسبة إلى جاك لاكان). وإنَّ نصًا بهذه القوّة العلميّة وبهذه الشدّة النظريّة وبهذا التعقيد والاشتداد المفاهيمي حين يتعرّض إلى ترجمة لا تُراعي خصوصيّة المنهج المُعتمد ولا تُراعي الأربعة أَيْدٍ التي كُتِبَ بها النص، يغدو الإلغاز علامة على الإفساد والانحراف والتغليط. فالعلمُ جُعِلَ ليُفهَم لا لِيُـلْغِزَ، وليَبْسُط لا ليُشْكِل. وإنَّ النّقد الذي نحن بصدد تقديمه يعمل على الإبانة والفسر وتسليط الضوء على مواضع التغليط في الترجمة. والنقد كما نعلم إنّما هو التمحيص والنظر وتِبيان للحسن من الرديء في المعروض للدراسة والتحقيق[1]، وليس في النّقد قدح ولا ذمّ في اجتهاد العارف أو العالِم أو الباحث، ولولا النقد لما تقدَّم علمٌ ولما تطوَّرت معارف، ولسنا نقول جديدًا ههنا، إذ إنَّ النقد من أبجديّات البحث العلميّ. ومن هذا الباب سنحاور ترجمات عبدالعزيز العيّادي.

ولنحيط قارئنا الكريم علمًا أنّنا تردّدنا كثيرًا في الإقدام على نشر هذه التعاليق النقديّة لما قد ينجرّ عنها من خلخلة الثقة بثلاث ترجمات من كبريات النصوص في الفلسفة الفرنسيّة المُعاصِرة، ولكنّنا غلّبنا الواجب والأمانة العلميّة في مُكاشفة القارئ العربيّ العزيز بمواضع التغليط في نقل النصوص الدُّلُوغواتّريانيّة[2] إلى اللسان العربيّ والتي يُعتبر مصنّف رأسماليّة وفُصام بجُزْأَيْه من بين أهمّ نصوص الفلسفة الفرنسيّة المُعاصِرة من دون أدنى مبالغة. والواقع أنّه لو كانت الأخطاء التي سنوردها مأخوذة على السهو أو تعثّرات الاجتهاد التي يسترها السياق لما كنّا ارتأينا أن نُصدر في شأنها مقالة نقديّة بحيالها، خاصّة وأنّ الأستاذ العيّادي ضليعٌ باللسانيْن العربي والفرنسي مما يُفترض أن يُجيِّده عن الوقوع في أخطاء نقل لغويّة، ولكنَّها ـ مع شديد الأسف ـ أخطاءٌ منهجيّةٌ ومفهوميّةٌ، بل ثمة منها حتى أخطاء لغويّة مَنعنا الحياء من عرضها، خاصّة وأنّنا لسنا بصدد تقديم تقرير في رصد الأخطاء، بل تحقيق نقديّ في الترجمة المُتفلسِفة. وتقع الأخطاء المنهجيّة والمفهوميّة في صميم الشبكة المفاهيميّة الرئيسة التي يقوم عليها بنيان النصوص الثلاثة التي تترابط محتوياتها في هذه المفاهيم وتشتبك فيها. والمرعِب في هذه الأخطاء والتغليطات أنّها لا تتعلّق بكلمات يمكن حصرها في صفحات بعينها، وإنّما هي مفاهيم ومصطلحات إجرائيّة تقنيّة متوزّعة على كامل النصوص الثلاثة ويرتكز عليها فهم

الموضع الذي تحضر فيه. والواقع أنّ هذه الأخطاء المفهوميّة قد أضرَّت بالنص الأصلي أيّما ضرر في نقله إلى اللسان العربي وبخاصّة كتابَيْ **رأسماليّة وفُصام**. فـ *Qu'est-ce que la philosophie?* سبق أن ترجمه مُطاع صفدي سنة 1997 تحت عنوان **ما هي الفلسفة؟** وهذه الأخطاء والتغليطات كما سيرى القارئ الكريم تُعبِّر ـ للأسف ـ عن عدم إلمام المُترجِم بالعلم الذي يُترجِمه. وكان هذا بيِّـنًا من خلال الترجمة ذاتها. فالهنَات التي عليها ترجمة الأستاذ العيّادي والثّغرات الكبيرة التي تحتويها هي ما دلّ على جهل المُترجِم بالعلم الذي يُترجمه. وهذا ما ستعرفه قارئنا العزيز تباعًا في هذا التحقيق النقديّ.

وفي هذا السياق، ثمة ملاحظة يمكن سوْقُها على عُجالة، في ما سنُقدِم على تفصيله في مواضعه من هذا التقصّي النقديّ، وتخصّ تقديم الأستاذ العيّادي لترجمتَيْ **أوديب ـ مُضادًّا** و**ألف سطيحة**. إذ يكشف التقديمان عن مدى ضعف المُترجِم في فهم العِلم الذي بين يديه، ويَبِينانِ صريحًا عن دخوله للنصَّين من باب الغَلَط، كما يكشفان بوضوح عن عدم اطّلاع المُترجِم على علم فِلِكس غواتّاري. ومثال ذلك أنّه ظهر في تقديمه لـ**ألف سطيحة** على أنّه لا يفقه حتى "المنهج" الذي يعتمده الفيلسوفان في هذا النص، حيث قال إنّه "كتاب دون منهج" !! (ص 7) والحال أنّه بمنهج. إنَّ هذا التصدير لترجمة *Mille plateaux* أظهر منذ البدء أنَّ الأستاذ المُترجِم لا يفقه شيئًا من "منهج التحليل الفُصاميّ" الذي هو منهج النص. وأنَّه ترجم النص خبط عشواء. وفي هذا السياق، لا بدَّ من الإشارة أيضًا إلى الصياغة الأدبيّة التي صيغ بها التقديمان واللذان لا علميّة فيهما ولا حديث جادّ عن المشروع الفلسفيّ والعلميّ للنصَّـيْن، بل أحاديث خطابيّة لا تدلّ القارئ على علم أو نظريّة. وهكذا تقديم لا يمكن إلّا أن يدعو إلى الريبة في مدى إدراك المُترجِم للأهميّة النظريّة وللثقل العلميّ للمصنَّف الذي بين يديه (ونقصد **رأسماليّة وفُصام**). مصنَّفٌ كان قد وصف أنطونيو نيغري Antonio NEGRI الكتاب الثاني منه أي *Mille plateaux* بأنّه "يُعلن ميلاد ماديّة تاريخيّة موائمة لعصرنا"[3]. بينما يصفه مترجمه العيّادي بأنَّه كتابٌ بلا منهج!

وعليه نقول: إنّ التحليل فُصاميًّا يعتمد منهجًا من نفس جنسه، وهذا المنهج ليس منهجًا تقليديًّا يعمل وفق انضباط راديكاليّ، وإنّما هو منهج له خصوصيّته الجذموريّة و"التفصيميّة" التي لا تُشبه أي منهج علميّ آخر. وإنّ الأستاذ العيّادي في هذا التصدير الذي جئنا على ذكره يُقيم الحجّة على نفسه وعلى أنّه قد اقتحم النص في جهل تام لأسلوب الاشتغال المُعْـتَمَد فيه. وهذا الفعل لن يعودَ بالخيرِ على الترجمة. وحضرة المترجِم في الحقيقة لم ينفكّ يُعطينا علامات وقرائن تدلّ على تعدّيه الترجمانيّ على النصوص الدُّلوغواتّريانيّة.

ولا بأس في هذا المستوى من التقديم بمُكاشفة قارئنا العزيز بأمر يخصُّ علاقتنا بهذه الترجمات التي تراءتْ لنا بادئ الأمر، كما تراءتْ لَكَ، أنّها على قدر عظيم من الدقّة والصلابة اللسانيّة مأخوذين في ذلك بقوّة اللغة التي كُتِبت بها، وبثقتنا العالية في الأستاذ المُترجِم أنَّه من الأمُناء على الفكر ومن أصحاب الهمم في العلم. ولا نذيعُ سرًّا إذ نقول إنّنا قد اعتمدنا ترجمة **الفرق والمُعاوَدة وأوديب ـ مُضادًّا** في المرحلة الدكتورائية وما بعدها بقليل، على أنّنا كنَّا مُستأنسين بالنصِّ الفرنسي. ولكن ما جَعلنا نتفطَّن بحق لجملة ما سنورده في هذا التحقيق النقديّ هو كوننا انهممنا علميًّا بفلسفة فِلِكس غواتّاري، وانشغلنا بفكره في سنواتنا الأخيرة أيّما انشغال، الأمر الذي جعلنا ننتبه للتغليط الحاصل في الترجمات التي كان لغواتّاري السهم الرئيس في إنتاجها. وقد ذُهِلنا بالجُرأة التي كان عليها المُترجِم كيف أقدم على ترجمة نصوص لا يعرف شيئًا عن شبكة مفاهيمها وعن مشروعها النظرانيّ مأخوذًا بالاعتداد بفهمه لدلوزِ **فرق ومُعاوَدَة**. من غير أن يعي أنّ دلوز ذاته قد أضحى غواتّريانيًّا من بعد 1969.

إذًا، استكمالًا للتقديم وتقدّمًا في إتمامه، وُجبت الإشارة أوّلًا إلى أنّ عبدالعزيز العيّادي لم يُترجِم لجيل دلوز سوى كتاب واحد فقط وهو Différence et répétition (والذي سبق أن تُرجم إلى اللسان العربي أول مرّة على يد وفاء شعبان بتعريب العنوان إلى **الاختلاف والتكرار**، ومن ثمّ أعاد العيّادي ترجمة الكتاب بتعريب العنوان إلى **الفَرْق والمُعَاوَدة**)، أمّا الثلاثة المتبقّية فهي كُتب مشتركة بين جيل دلوز وفِلِكس غواتّاري وهي على التوالي:

- *Capitalisme et schizophrénie*
- *Tome1 = L'anti-Œdipe 1972/Tome2 = Mille plateaux 1980.*
- *Qu'est-ce que la philosophie? 1991.*

والكتاب الثالث سبق أيضًا أن تُرجم هو الآخر على يد مُطاع صفدي.

وسنعمل قبل الخوض في المفاهيم المُتضرِّرة وفي الانحرافات التُّرجمانيّة على تقديم مدخل موجز في قراءة دلوز وغواتّاري في كتاباتهما المُشتركة (1)، والذي من شأنه أن يُحقِّق بعض مرونة في فهم خصوصيّة الكتابة المُشتركة بين جيل دلوز وفِلِكس غواتّاري. ومن ثم سنبيِّن مطبّ الترجمة عند العيّادي تحت ضوء هذا الفهم للطرح المُشترك بين الفيلسوفَـيْن. ومن بعد ذلك سنقدِّم قولًا في "المُناكفة التُّرجمانيّة" (2) التي أصرَّ عليها الأستاذ العيّادي في علاقة بالترجمة على ترجمة مُطاع صفدي (**ما هي الفلسفة؟** لدلوز وغواتّاري) ووفاء شعبان (الاختلاف والتكرار لجيل دلوز). ومن ثم نخصِّص الجزء

الثالث لقضيّة إسقاط المنهج في *Mille plateaux* (3) وأخيرًا سنعرض انحرافات الترجمة في النصوص الدُّلُوغواتّريانيّة الثلاثة (4) وهذا الفصل سيكون شديد التقسيم لمقتضيات هذا التحقيق النقديّ.

تنويهات

ـ إنَّ هذه التعاليق هي تحقيق نقديّ في الترجمة المُتفلْسِفَة وليست تقريرًا في رصد أخطاء النّقل اللسانيّة. وعليه، لم نتوقّف عند هذه الأخطاء ـ على شدّة تواترها ـ إلا لمامًا.

ـ لن نأخذ في الحُسبان ترجمة ناجي العونلّي للستٍّ وخمسين صفحة من **أوديب ـ مُضادًّا** (الممتدّة في الترجمة من ص271 إلى ص327) نظرًا لتغيير العيّادي لها بما يتلاءم مع خطّه في ترجمة النص. وللتثبّت يمكن للقارئ النظر في ما كتبه العيّادي في هامش الصفحة 271.

ـ لن نعتمد **ألف سطيحة** في الإشارة إلى *Mille plateaux* كما ترجمها العيّادي، بل سنكتب **ألف مسطح** أو سنكتفي بالإشارة إلى الكتاب بالحرفَـيْن اللاتينيّين الأوّلين منه (M.P) وسنأتي على فسْر دواعي إعراضنا عن استعمال مصطلح "السطيحة" في حينه. كما سنعتمد الحروف الأولى من الكتب الثلاثة كلما تطلّب الأمر ذلك درءًا للتكرار على النحو التالي: نُشير إلى *L'anti-Œdipe* **أوديب ـ مُضادًّا** بـ(A.Œ) و *Mille plateaux* **ألف مسطح** بـ (*Qu'est-ce que la philosophie?* **ما الفلسفة؟** بـ (Qu.Ph).

ـ ننوّه بملاحظة ساقها المُترجِم في تقديمه لـ **ألف سطيحة** قال فيها "إنَّ النصَّ الفرنسيّ الذي أقبلنا على ترجمته إلى العربيّة يحتاج إلى ترجمته إلى الفرنسيّة أوّلًا، نظرًا لصياغته غير الاعتياديّة تعبيرًا ومنهجًا وأسلوبًا" (ص8). (مع أنّه يقول إنّه كتاب بلا منهج! ولكن لا علينا الآن من ارتباكات حضرة المُترجِم التي سنتوقّف عندها في حينه) وهي في الحقيقة ملاحظة تمّ تداولها في الوسط الفلسفي الألماني عن **فنومينولوجيا الروح** لهيغل نظرًا لقساوة النص على الأفهام. فقيل فيها إنّه وجب ترجمتها إلى الألمانيّة أوّلًا. وإنَّ المُترجِم في إسقاطه نفس العبارة على نص دلوز وغواتّاري هذا إنّما لإيهام القارئ بالعوص استباقيًّا على سبيل "التلاعب"، فحتّى إذا وجد القارئ نفسه عاجزًا عن إدراك معانٍ قصمها الوهن الترجمانيّ، نسب عجزه إلى عوص مُسْتهام. فيا عزيزنا القارئ طِب نَفْسًا فإنّك لست بضعيف فهم إذ إنَّ نظيركَ القارئ الغربي لم يشكو من النص، ولم يتذمَّر من ثقل وزنه المعرفيّ بل أَخَذَهُ، في عموم ما بَلغنا، على فرادة الأسلوب وغرابة المنهج وكثافة المحتوى.

ـ لن نُدرج الكثير من الشواهد القوليّة ذلك أنَّ الأخطاء تتعلق بمفاهيم وبمصطلحات تقنية إجرائية تأكل فصولًا بأكملها، فيكون من غير الممكن نقل الشواهد لكثرتها، فمهما اتسعت مساحة المقالة لن تستوعبها جميعها. وعليه، نكتفي بالإشارة إلى المواضع المتضرّرة، مع إدراج بعض الشواهد للبرهنة.

نعتمد في تحقيقنا هذا الأثر الفرنسي من الطبعات التالية:

Gilles Deleuze et Félix Guattari,

- *Capitalisme et schizophrénie 1, L'anti-Œdipe, les éditions de Minuit, Paris 2015.*
- *Capitalisme et schizophrénie 2, Mille plateaux, les éditions de Minuit, Paris 2009.*
- *Qu'est-ce que la philosophie?, éd. Cérès, Tunisie 1993.*

1. مدخل إلى قراءة دلوز وغواتّاري في كتابتهما المشتركة، ومطبّ الترجمة العيّاديّة

لردح غير يسير من الزمن اعتاد القارئ العربي على إلحاق فِلِكس غواتّاري بجيل دلوز كلما كان الكتاب مشتركًا بين الاثنيْن، الأمر الذي بلغ حدّ نسب المتون المُشتركة إلى دلوز وحده قولًا واحدًا في المخاطبات والمُشافهات الثقافية والفلسفيّة، إذ لا نستثني في ذلك أهل الاختصاص الذين أساؤوا إلى فلكس غواتّاري فكرانيًّا أكثر من غيرهم وغمطوه حقّه العلميّ في ما كتب وفي ما أثّر، مع أنَّ جيل دلوز ذاته يعترف بتأثير غواتّاري عليه وعلى نسقه الفكرانيّ. وهذا الغمط الفكرانيّ الذي يبلغ حدّ الجحود أو النكران لم يكن خصيصة عربيّة بل حتى في فرنسا حدث الأمر ذاته! وقد تعرَّضت مانولا أنطونيولي Manola Antonioli، وهي المختصّة في فلسفتيْ دلوز وغواتّاري، لهذه الظاهرة الغريبة وكتبت بلهجة ناقدة من بين ما كتبته: "إنَّ هذا الجحود الغريب [الإنكار الغريب] قد بلغ في كثير من الأحيان حدّ "نسيان" ذكر اسم غواتّاري في بيبليوغرافيا بعض المقالات أو المُصنّفات المُكَـرَّسة لسياسة وفلسفة وأستطيقا "دلوز"، نَسْيًا غاية في الإدهاش! من قِبَل باحثين وفلاسفة هم من جهة أخرى شديدو التمحيص والصرامة في ما يخصّهم من كتابات[4]". فلعلّ هذه التعاليق النقديّة على الترجمة العربية لمتون مشتركة بين جيل دلوز وفِلِكس غواتّاري مناسبة لفتح هذا الملف العلميّ[5] وإيضاح معنى يجهله البعض وتغض عنه الأغلبيّة من أهل الاختصاص الطرف، إمّا عن جهل أو عن سوء طويّة[6]، ألا وهو تأثّر دلوز وسياقه الفلسفيّ بتفكير غواتّاري وفلسفته وطرحه العلميّ، وأنَّ ما كتباه في نصوصهما المشتركة هو انعكاس لهذا التأثّر الدلوزي بالسياق الغواتّرياني.

من المعلوم أنّ لقاء دلوز بغواتّاري لم يكن مجرَّد لقاء بين مُفكِّـرَيْن بل هو لحظة تحوُّل حقيقيّة في فلسفة جيل دلوز.

وتأثير هذا اللقاء بدا شديد البيان في تغيُّر تفكير جيل دلوز بشكل أشبه بأن يكون جذريًّا. فدلوز قبل غواتّاري ليس هو دلوز بعد غواتّاري. ثمّة دُلوزان، واحد قبل 1969 وواحد بعده. واحد كان يكتب تاريخ الفلسفة ـ وإن بنَفَس مُغايرٍ وبماكينة فكرانيّة مُخصوصة ـ وواحد هلَّ جديدًا يتحرَّى الجيوفلسفة في كل حركاتها وسكناتها. رجل كان يكتب وفق خطّيّة جذريّة فأصبح يكتب ويُفكِّر جذموريًّا ووفق خطوط انفلات عَرْضانيّة. حتى إنَّ أنطونيو نيغري Antonio NEGRI كان يُطلق على دلوز في كتاباته السابقة عن غواتّاري تسمية "دلوز الأوّل" (Le premier Deleuze). إذًا، نقول إنَّ دلوز الجديد قد خرج من قمقم "تاريخ الفلسفة" إلى فضاء الأنطولوجيا المتعدّدة والمتغايِرة فلسفةً وفنًّا وعلمًا. وكأنَّ جيل دلوز اختبر فلسفته في "الفَرْقِ" أمبيريقيًّا مع فِلِكس غواتّاري. وفي التحوّل الذي بدا عليه دلوز وفلسفته تقول مانولا أنطونيولي في كتابها جيوفلسفة دلوز وغواتّاري: "منذ اللقاء بفِلِكس غواتّاري، لغات الجغرافيا وعلم الحيوان وعلم النبات والرحلة، تتدفّق في الكتابة المُشتركة. ثمّة تمثيل مكانيّ مخصوص يطبع الأسلوب والمفاهيم الناشئة عن هذا اللقاء (جيولوجيا المساطح، نبتيّة الجذامير، جغرافيا الخرائط، الطبقات، ما يخصّ الأرض وما يخصّ الأقاليم)"[7]. وهذا الكلام يقوله كثير من المختصّين والمهتمّين بالفلسفة الغواتّريانيّة ممن عاصروا غواتّاري ودلوز، ومن اللاحقين، ونذكر من بينهم جون كلود بولاك Jean - Claude Polack وإيريك ألييز Eric Alliez وأنيك كوبا Annick Kouba وستيفان نادو Stéphane Nadaud، وحتى أنطونيو نيغري Antonio Negri. ثم إنَّ التفكير المكنيّ برمّته الذي تعرّفنا عليه منذ **أوديب ـ مُضادًّا** من انتقال اللاوعي من المسرح إلى المصنع، من الليبيدو إلى الرغبة، والحديث عن الرغبة ـ المكنة وعن المكنات الراغبيّة والأدفاق المكنيّة وكل ما إليه من المقولات التقنيّة لهذا "التفكير المكني" لم يكن لجيل دلوز ناقة فيه ولا جمل، وإنّما تعلّم هذا "التفكير المكنيّ" عن فِلِكس غواتّاري. وهذه حقيقة من المُحال إنكارها والجميع يعرفها، وحتّى سبب القطيعة بين جاك لاكان وفِلِكس غواتّاري كانت قضيّة "اللاوعي المكني". كان اختلافًا علميًّا كبيرًا بين الرجلَيْن تحوَّل إلى خلاف قاصم ومن ثم إلى قطيعة. وأول تعرّفنا نحن جماعة الفلسفة إلى مسألة "اللاوعي المكني" وسياقاتها، هو هذا المُصنّف البديع في **أوديب ـ مُضادًّا**. وفي سياق المكاشفة هذا ربّما سنصدم القارئ العزيز حين نحيطه علمًا بأنّ انهمام دلوز بالكتابة والمُخاطبة في الفنون، وتحديدًا السينما والرسم، كان أيضًا إلهامًا غواتّريانيًّا. فتأثير غواتّاري على ج.دلوز فكرانيًّا عظيم وعظيم جدًّا إذ أخرجه من سجن تاريخ الفلسفة الذي كان سيكون كهفه المعتم. إنَّ ما ينبغي الإقرار به بحقّ هو كون دلوز ذاته بات غواتّريانيًّا. وليعرف المرء ذلك فليُقارِن بين دلوز قبل الكتابات المُشتركة مع غواتّاري، وبعدها. وهذا ما لا تريد التسليم به "الجماعة الدلوزيّة" أو لنقل "اليمينيّة الدلوزيّة في الفلسفة". ومطبّ الترجمة الأصل في ترجمات العيّادي للنصوص الثلاثة بين دلوز وغواتّاري يعكس هذا الانحياز اليميني لجيل دلوز. فعبدالعزيز العيّادي ظهر كغيره من المتفلسفة الرافضين لغواتّريانيّة دلوز. ورفضه هذا وتطرّفه في تقدير جيل دلوز أدخله منزلقًا خطيرًا في الترجمة جعله يترجم دلوزيًّا نصوصًا تخلّى فيها دلوز ذاته عن دلوزيّته! وينبغي التنويه ههنا بأنَّ العيّادي ترجم **أوديب ـ مُضادًّا** وهو جاهل تمامًا بفلسفة ف.غواتّاري حدّ أنّنا نُرجِّح أنّه أقبل على النص من غير قراءة كتاب واحد لفِلِكس غواتّاري. فما أبانت عنه الترجمة خطير جدًا. إذ أظهرته غير مطّلع بالمرّة على فيلسوف يُترجمه ولا علم له بأدواته وسياقاته المعقّـدَة التي تتطلّب قوّة حدسيّة هائلة واقتدارًا حقيقيًّا على التقالب الفُصاميّ في غمار تحليل فُصاميّ جدّ دقيق. وطرح الخيط الناظم فيه تنافريٌّ.

في واقع الأمر إنَّ التعاطي مع فكر غواتّاري يُضاهي التعاطي مع ماكينة تفكير حيْثانيّة وحاضرة في كل زمان، ولعلّنا لا نبالغ إذ نقول إنَّ هذه الماكينة هي وسيلتنا المتبقّية اليوم للتفكير الفلسفيّ الأمبيريقيّ في زمن تعتدُّ فيه التكنولوجيا بسلطانها. فهذا العلم الغواتّريانيّ لا يزال يُلهم بالفهم والتفهّم والتفكير لشدَّة كثافة مفاهيمه وتفرّعاتها وعدم انفراقها الواحد عن الآخر، فبقدر ما تُسرِّحُكَ مفاهيم غواتّاري في مساحات من التفلسف والمعرفة العلميّة فإنّها في الوقت ذاته تُلزمك بعدم تضييع الرابط التنافريّ بينها. فإضاعة هذا الرابط من شأنه أن يُفكِّك ما كنت قد نسجته من نظر. وقد تتعجّب منّا قارئنا الكريم ونحن نقول "رابط تنافريّ"، ولكنّه كذلك بالفعل إذ ينبغي على المتفلسف، وفق هذا المنهج، أن يدرك كيف يجد دائمًا الخيط الناظم في قلب التنافر. وليس هذا بغريب عمّن ابتدع تكوينًا تنافريًّا [مكنيًّا] ومرجعيّة تنافريّة وقراءة في أنطولوجيا فُصاميّة هي أنطولوجيانا جميعًا (L'ontologie schizo). وقد فسَّرنا قدر الطاقة مختلف هذه الأمور وغيرها في كتابنا **تأمّلاتٌ فُصاميّة على منوال غواتّريانيّ**.

إنّ مطبّ الترجمة عند العيّادي يقع في عدم قراءته لغواتّاري قبل الخوض في ترجمة النّصوص الثلاثة. وهذا ما أوْقَعه في كل التغليط الذي حصل وفي كل التناقض الذي

جعل من الترجمة موضوع إلغاز يقرأها المرء ولا يفهم منها شيئًا. وخطورة الإلغاز الذي ألمَّ بترجمات العيّادي هذه كونه قُـدِّمَ بلغة قويّة وحسنة الصياغة ممّا يجعل القارئ أمام قلّة فهم لا يفهم مأتاه، وبالتالي لن يعود في نظره هذا الإلغاز إلا إلى عوص حاصل في الأثر. فمُترجم يكتب بتلك اللغة الحصيفة لا يمكن أن يكون في نظر القارئ غير عارف بمادة ما يُترجِم. ولكن هذا الحصن اللغوي لعبدالعزيز العيّادي لا يمكن أن يصمد طويلًا نظرًا لوهم التحصين منه. فالأثر لا بدَّ يدافع عن نفسه. والفلسفة الحاقّة لا تضيع في ضعف الترجمات إذ ثمّة دائمًا مَن يُصوِّب ويُحقِّق ويُنقذ الأثر من التشويه التّرجمانيّ. وإنّنا نكاد نجزم أنّ ما أخذ المُترجِم إلى دخول الترجمة من غير قراءة فِلكس غواتّاري هو الاعتداد الواهم بجيل دلوز، فباعتقاده أن فهمه لدلوز كاف ووافٍ. بينما الفاروق في الأمر هو المسؤوليّة الإتيقيّة أمام النصّ التي تُحتِّم على المُترجِم قراءة الفيلسوف الذي يترجمه وفهمه والإلمام بعلمه وبمشروعه النظريّ. والمُترجِم ههنا أمام فيلسوفَيْن، فإمّا أن يكون صبورًا على النص ويأخذ وقته في القراءة والتمحيص والتحقيق، وإمّا أن يتخلّى.

2. في المُناكفة التُّرجمانيّة

نتذكّر أنّه حين صدرت ترجمة **نقد العقل المحض** (كنط) لموسى وهبة عن مركز الإنماء القومي في بيروت من سنة 1989، وهي ترجمة رصينة حصيفة مَرجعٌ، كانت قد سبقتها ترجمة أخرى أقلّ حصافة ولا أظن أحدًا اليوم يتحدَّث عنها، وهي ترجمة أحمد الشيباني الموسومة بـ نقد العقل المُجرَّد. ولقد كان لموسى وهبة من الرفعة العلميّة ومن إتيقا المعرفة ما حيَّده عن الوقوع في شرك المُناكفة، فوجدناه مُقتصرًا في تقديمه على بعض نقد أوجزهُ في جملة قصيرة، يُصاحبه عرفان بفضل مَن سبقه إلى ترجمة النص وبجهده في نقله. وهذا نص قوله: "لا أريد هنا أن أُقلِّل من الجهد العظيم الذي بذله أحمد الشيباني، في ترجمته الموسومة: **نقد العقل المُجرّد**، الصادرة عن دار اليقظة العربيّة للتأليف والترجمة والنشر في بيروت، إهداءً إلى الأمير عبدالله بن عبدالعزيز في 1 كانون الثاني 1965. لكنّي لا أظنّ أن أحدًا استطاع أن يقرأها، وإن جُزئيًّا، بسبب من افتقاد المُترجِم إلى الصبر، يوم لم يكن لأحد أن يصبر على القراءة والتروّي. لكن، رغم ذلك، يبقى للشيباني فضل السبق والإقدام".

رفعة علميّة وإتيقا معرفيّة غابت بالكامل عن المُترجِم عبدالعزيز العيّادي وهو يُعيد ترجمة كتابيْن. فوجدناه في تقديمه ترجمته لـ *Différence et répétition* (جيل دُلوز) الموسوم بـ **الفَـرْقِ والمُعَاوَدة**، والذي ترجمته من قبله وفاء شعبان بـ **الاختلاف والتكرار**، وهي الترجمة السبق لعمل من بين أهم أعمال جيل دلوز؛ يُقدم على تخصيص ست صفحات من جملة سبع عشرة صفحة لنقد ترجمة الدكتورة شعبان، وإظهار مُفاضلة بيِّنة تُعلي من شأن ترجمته وبخاصّة في إبراز المُفاضلة بين تعريب العنوانيْن، من دون الثناء على جهدها الكبير وفضل إقدامها على ترجمة نص في وزن *Différence et répétition* لأوَّل مرة في اللسان العربي، بل إنّه لم يذكر حتى اسمها وهو يُعرِّض بترجمتها!

أمّا في إعادته لترجمة مُطاع صفدي لكتاب دلوز وغواتّاري *Qu'est-ce que la philosophie?* فإنّه لم يذكره بالمرة في تقديمه! وكأنَّ العمل يُترجَم للمرّة الأولى. وفي ذلك تجاهل متعمَّد فيه سوء أدب يُسْـتَغرَبُ من رجل علم في سنّه وتجربته العلميّة ومشواره الطويل تدريسًا وتأليفًا وترجمة. والواقع، إنّ تجاهل مُطاع صفدي لا يمكن إلا أن يُقلِّـلَ من تقدير القارئ للأستاذ العيّادي، فصفدي ليس اسمًا يتجاهله المتفلسف في ديارنا، فنحن جميعنا أبناء الفلسفة في بلاد العرب في الزمن المُعاصر مدينون لمطاع صفدي تاريخيًّا بساحة ومساحة بحث وتفكير وترجمة فتحها للمتفلسفة العرب من كل التوجّهات. وهذا فضل لا يُنكره عارف. ولا نرى في نُكران العيّادي لجهود مَن سبقوه في ترجمة النصوص إلا مناكفةَ اختيال غَرُورٍ.

وأمّا في ما يخص متنَيْ الترجمة، فالحقّ نقول، إنّ ترجمة عبدالعزيز العيّادي لـ *Différence et répétition* أجود من ترجمة الدكتورة وفاء شعبان، و"الفرق" أدقّ من "الاختلاف"، و"المُعَاوَدَة" أدقّ من "التكرار"، على أنّ كليْهما أخطأ التعريف محلّ النكرة، فالأصل **فرقٌ ومُعاودة** أو **اختلافٌ وتكرار**. ولا يمكن تعليل التعريف بالتحديد لأنّ كل عناوين دلوز ـ في ما عدا أربعة ـ وردت نكرة. وللرجل مذهبه في ذلك. ومع تقدير جهدهما في الترجمة فإنَّ الملاحظة التي شدَّتنا صراحة هي أنَّ قراءة النص في لسانه الفرنسي أكثر سلاسة وأسهل فهمًا من الترجمة العربيّة في النسختيْن. أمّا بشأن إعادته لترجمة مُطاع صفدي لنصّ دلوز وغواتّاري *Qu'est-ce que la philosophie?* فإنّ العيّادي لم يُضف شيئًا يُذكر، بل لم نجد في ما ترجمه غير تغيير في الصياغة من موضع إلى آخر. فضلًا عن أنّه قد أفسد الترجمة بنقل مفاهيم إجرائيّة اجتهد في ترجمتها فلم يُصب، من قبيل "الجُزيْئي" إلى "الهبائي" (moléculaire). هذا وغيره من المفاهيم سنقدم على التدقيق والتحقيق فيها في مواضعه من هذه التعاليق النقديّة.

3. إسقاط المنهج عن *Mille plateaux* والإخفاق في اختيار "السطيحة"

آثرنا تخصيص عنصر بحياله لهذه القضيّة وذلك لأهميّتها

النظريّة وخصوصيّتها من ناحيتيْن: 1) أنَّ **ألف مسطح** (M.P) (ولا نقول "ألف سطيحة" كما جاء عن المُترجِم) هو الكتاب الثاني من **رأساليّة وفُصام** وعلاقة ذلك بالمنهج الذي أُسْقِط. 2) إسقاط المنهج وعلاقته بالانحراف الشنيع عن مراد الفيلسوفَيْن من النص ذاته.

فلنتّفق أولًا أنّه من الضروريّ التوقّف عند "التصدير" الذي كتبه عبدالعزيز العيّادي لما فيه من مكاشفة غير مقصودة توضِّح طريقة تعامل المُترجِم مع النص الذي بين يديه. ونقول مكاشفة غير مقصودة لأنّ المُترجِم لم يكتبِ ما كتبه من باب الاعتراف بالزّلل بل من باب المُفاخَرة بما فكَّر واستنتج. ومن الصادم أنَّ المُترجِم كاشف القارئ منذ اللحظة التمهيديّة للدخول في كتاب كـ *Mille plateaux* بإسقاط المنهج! وهذا وحده قضيّة نقديّة. ونقول "إسقاط المنهج" وليس غياب المنهج، لأنَّ النص بمنهج، وحضرة المُترجِم يتوهَّم غياب المنهج نتيجة عدم إلمامه بالطرح الذي بين يديه ولا بمنهج التحليل الفُصاميّ الذي انطلق أصلًا منذ الكتاب الأول أي **أوديب ـ مُضادًّا**. والمُفزع في أمر إسقاط المنهج عن M.P أنّه يكشف عن ضعف فهم للمتن الأوّل (A.Œ) سيتواصل في هذا الكتاب. والأصل في الأمور المُراجعة، ولكن الأستاذ المُترجِم من البيِّن أنّه لم يقم بأي مراجعة نقديّة، بدليل أنّه استمر على نفس الوتيرة من الفهم المتواضع للطرح المعقّد والمركّب، متمسّكًا بنفس الترجمة للمفاهيم التي خرَّبها في **أوديب ـ مُضادًّا** (كما سنرى في اللاحق من الصفحات) بل زادها ترجمات أخرى أغرقت النص بالانحرافات الترجمانيّة والسياقيّة. ولماذا نذكر ههنا الجزء الأول (A.Œ)؟ ذلك لأنّ الجزء الثاني هو استكمال للأول بإقرار صاحبيْ النص، ففي أول جملة من (M.P) يقول الفيلسوفان: "هذا الكتاب هو تتمة ونهايةُ **رأساليّة وفُصام** الذي كان جُزؤه الأوّل هو **أوديب ـ مُضادًّا**"[8]. وهنا يجب ألّا ننسى أنَّ آخر فصول الكتاب الأول كان بعنوان: "مقدمّة للتحليل الفُصاميّ" جاءت مقسَّمة على خمسة عناصر. فباستنتاج منطقيّ بسيط سيكون الكتاب الثاني هو التجريب الفعليّ في اعتماد التحليل الفُصاميّ. وهو ما حصل بالفعل.

نحن ههنا أمام وضعيّة علميّة غير اعتياديّة من حيث تجريب منهج تحليلي مستحدث في الفلسفة للمرّة الأولى (طبعًا بعد عرضه نظرانيًّا أوّل الأمر في **أوديب ـ مُضادًّا**) ومن حيث خصوصيّة هذا المنهج التي تفرض على المُترجِم التفرُّغ لقراءة فِلِكس غواتّاري قبل الخوض في ترجمة مُصنَّف بثقل **ألف مسطح** مكتوب بأربع أيدٍ وعَقْـلَـيْنِ [ولمَ لا بدماغيْنِ لو أردنا فهم الدماغ بخاتمة كتابها **ما [هي] الفلسفة؟**]. وكان من المُفترض أن يكون هذا التفرُّغ سابقًا بالأساس لترجمة الكتاب الأوّل. لكن العجلة التي كان عليها الأستاذ المُترجِم في ترجمة نصَّيْن على قدر عالٍ من التعقيد والتركيب والاشتداد (فضلًا عن عدد صفحاتهما الكبير حيث حصدا مجتمعين نحو 1455 صفحة)، لا يمكن أن تنتج عنها سوى هذه الكارثة الترجمانيّة. أمّا في ما يخصُّنا من **ألف مسطح** فتهمّنا العودة إلى تقديم المترجم لـ *Mille plateaux* حيث جاء فيه أنّه "كتاب دون منهج"!! (ص7) وكان قد أظهر المُترجِم ضعفه في فهم المنهج منذ البداية حيث كتب في الص5 من تصديره للترجمة[9]: "تتعلّق الملاحظة الثانية بأسلوب الكتاب، نعني ببنائه وبالحركات الداخليّة التي تُحرِّكه، وبمنهجه إن كان له منهج"، وفصَّل هذه الملاحظة في الص7 جازمًا بانعدام المنهج! وهذا الكلام يُظهر أنَّ الأستاذ المُترجِم لا يفقه شيئًا من "منهج التحليل الفُصاميّ" الذي هو منهج النص. هذا النص الذي وصفه أنطونيو نيغري بأنّه "يعلن ميلاد ماديّة تاريخيّة موائمة لعصرنا"[10]. بينما يصفه مترجمه العيّادي بأنّه كتاب بلا منهج!

هذا بالنسبة إلى المنهج العامّ الذي يتشكّل من خلاله المُصنّف. أمّا بالنسبة إلى أقسام المُصنّف الداخليّة التي يزعم العيّادي أنّ الكتاب الذي يضمّها عشوائيّ بلا منهج وبلا خطّة بحث، فلنا أن نسائله ههنا: ما قولكم حضرة المُترجِم في التقطيع المنهجي الوارد مثلًا في المساطح عدد 4 و12 و13؟ وما قولكم في الاشتغال وفق خطّة تفكير على الطريقة الرياضيّة (mathématique) كما جاء في المسطح 12 حيث تقسّم المبحث النومادولوجي إلى أربعة بديهيّات (4 axiomes) وتسع قضايا وإشكاليّتيْن (أو مُشكليْن)؟ ثم ما قولكم في تشديد الفيلسوفيْن مذ مقدّمة الكتاب (المسطح الأول) على كون المساطح تتواصل بعضها البعض وفق عَرْضانيّة جذموريّة (انظر رأس الصفحة 33 من الأصل الفرنسي)؟ حتى إنَّ الفيلسوفَيْن على استحياء تركا للقارئ إمكان قراءة كل مسطح على حدة، إذ يقولان في ص8 من الأثر الفرنسي "إلى حدّ ما، يمكن أن تُقرأ هذه المساطح في اسقلاليّة بعضها عن بعض، في ما عدا الخاتمة التي لا ينبغي أن تُقرَأ إلا في النهاية" وفي هذا إجازة مشروطة وليس إتاحةً مطلقةً. وترجع هذه الإجازة المشروطة لثقل وزن النص وكثافة معلوماته وتنافريّته الشديدة حتى لا ينفر منه القارئ المَلول. وهذا في الواقع تُؤكّده موضوعات المساطح عينها حيث تنسل من بعضها البعض، فتجد مثلًا أنّ المسطح عدد 12 مرتبط فكرانيًّا بالمساطح 13 و14، كما تجد أنّ المسطحيْن الخامس والسادس هما مقدّمة للمسطح السابع. ثم ما قولكم حضرة المُترجِم في ما ذهب إليه أنطونيو نيغري من أنَّ

الكتاب يُعَـدُّ أفقًا أو منظورًا إبستيمولوجيًّا وليس مجرّد نسيج فينومينولوجيّ بسيط[11]؟ أَ وَ ثمة نظر إبستيمولوجيّ خِلو من المنهج؟! ثم قوله ـ ولعلّه الأهم في هذا المستوى ـ إنّ **ألف مسطح** هو كتاب يقوم في الحدّ الأدنى على أربعة مواضيع رئيسة: 1) نظريّة في التعبير والتنضيدات 2) نظريّة في الشبكات 3) نظريّة في النومادولوجيا 4) نظريّة أنطولوجيّة للسطح [للصعيد][12]، وقد فتح في كل واحدة منها قولًا على حدة.

يعني حقيقةً حين تقرأ تصدير المُترجِم تشعر أنّك ستكون أمام نص عشوائي أو أنّك أمام نص أدبيّ حمّال تفاكير متنوّعة كأن لا حاجة لاجتماع منطقي بينها أو كما لو كان شطحة فكرانيّة طريفة، أو كما لو كان نصًّا عجائبيًّا، أو كما لو كان سابقة أدبيّة. على أنّه سابقة بحق، ولكن ليس بالمنطق الأدبي الذي أوحى لنا به المُترجِم في تصديره للكتاب. إنّه سابقة فلسفيّة كان الأولى، من باب تقديرها، ترجمتها حقّ حقّها. والحقيقة إنّنا لا نستغرب توجّه المُترجِم هذا، إذ بالربط مع تقديمه لنص **أوديب ـ مُضادًّا** (أي الجزء الأول) سنفهم كيف يُفكّر المُترجِم وكيف تعامل مع النّصيْن، فتقديمه لـ (A.Œ) كشف شديدًا عن جهل المُترجِم بالمشروع الفكراني لـ**رأسماليّة وفُصام**، كما كشف عن جهله التام بالأدوات الفكرانيّة لهذا المشروع. والأكثر من ذلك، ولعلّه الأخطر، هو تبنّيه للفكرة الدلوزيّة التي تقول إنّ الدخول إلى نص فلسفي يضاهي الدخول إلى رواية بوليسيّة أو خيال علميّ! (انظر تقديم **أوديب ـ مُضادًّا** ص5 من الترجمة الصادرة سنة 2021) وهو ما يعكس كيفيّة قراءته للنص. وفي هذا التقديم يكمن مربطُ فهم لا يمكن تخطّيه، حيث قلنا مذ بداية تحقيقنا، إنّ العيّادي دخل ترجمة مشتركة بين دلوز وغواتّاري دُلوزيًّا! ومن تقديمه لـ(A.Œ) مُحمّلًا بنسخته من **فرق ومُعَاودة** ستدرك جيّدًا طبيعة مآلات الترجمة التي بين يديه! فنرى حضرة المُترجِم يقول من نفس التقديم ص5: كتاب **أوديب ـ مُضادًّا** "تبدو فيه الكتابة مُختَبَـرًا وتجريبًا وخطّ إفلات لا نصل إلى منتهاه بل نتركه ونتخلّى عنه لتجريب خطّ آخر، ولسنا نتركه عنوة بل لأنّه يضيق علينا ويكاد يقطع أنفاسنا" وهذه حال المُترجِم لا حال الفيلسوفيْن، إذ لم ينقطع بهما النفس في كل ما أنتجاه في الكتابيْن من **رأسماليّة وفُصام** في هذه التنافريّة الشديدة التي هي الأرضيّة النظريّة والأفق الحركانيّ الذي لا ينفكّ متحرّكًا[13]. إنّه لمن الصادم أن يكتب المُترجِم بعد أن فرغ من ترجمة الكتاب (لأن التصدير يكون عادة آخر ما يُكتب) أنّ الكتابة في هذا المصنّف هي بمنزلة "خطّ إفلات لا نصل إلى منتهاه بل نتركه ونتخلّى عنه لتجريب خطّ آخر" فهذه الجملة تعكس كيفية فهم المُترجِم للنصّ، وتوضّح لنا وضعيّة الخبْط التي عليها الترجمة. إذ ليس في المصنّف ترك ولا تخلٍّ بل ربط ونظم ونَضْدٌ مستمرّ بين تنافريّات أمبيريقيّة وأخرى أمبيريقيّة ـ ميتافيزيقيّة. ولا بأس في هذا السياق أن نُقدِّم لحضرة المُترجِم دعوة لقراءة Cartographies schizoanalytiques 1989 لِفِلِكس غواتّاري، لعَلّه يكتشف أنّ التنافريّة هي مسطحُ عِلمان جادّ وحاقّ عليه تمّ صوْغ نظر علميّ بتمامه. نظر علميّ جديد في التحليل النفساني وفي الفلسفة. وعسى بقراءته للنص يفهم حضرة المُترجِم بعلميّة شديدة الحصافة التي طُرح بها المُصنّف، ومنهجيّة التحليل الفُصاميّ، وأنّ M.P كان بمنهج وليس كتابة عشوائيّة.

وقبل أن نُنهي قولنا في هذه النقطة المنهجيّة، نودُّ الإشارة إلى كتاب فِلِكس غواتّاري **اللاوعي المكني** *L'inconscient machinique* الذي كان قد صدر سنة 1979، أي سنة واحدة قبل M.P، مما يدلُّ على أن الكتابيْنِ قد صيغا تقريبًا في نفس الفترة. وقراءة **اللاوعي المكني** تسهِّـل كثيرًا قراءة **ألف مسطح** من حيث يبسط فِلِكس غواتّاري في كتابه ـ المشروع نظريّته في "التحليل الفُصامي" وفي "المنطق المكنيّ" بدقّة علميّة وبسلاسة تُلَـيِّنُ على القارئ شدّة النصّ وكثافة مفاهيمه. ولو قرأ المُترجِم هذا الكتاب كان سيفهم **أوديب ـ مُضادًّا** حقّ حقّه، ويقي نفسه والقارئ كل تلك الأخطاء العابثة التي أُعيدت بحذافيرها في M.P. ثم لكان أدرك تمامًا أنّ M.P هو كتاب بمنهج، ولَوَقَى الكتاب الأضرار الترجمانيّة التي خرَّبته. فغالبيّة المفاهيم العُمدة في **ألف مسطح** واردة على غاية من التوضيح في **اللاوعي المكني**.

جُمّاع القول في خصوص إسقاط المنهج أنّ **ألف مسطح** هو كتاب بمنهج وهو منهج التحليل الفُصاميّ، وأنّ المساطح قد صيغت وفق نظر عَرْضانيّ لا يقوم على نسق تخطيطيّ راديكالي بل على نسق تنافريّ لولبيّ ينقلك من الفكرة إلى الفكرة في أدفاق وعبرها، كما ينضّد الأفكار في مكنيّة تجريديّة قصد تشكيل مشهد نظريّ جديد ينعتق فيه المُتفلسف من تقاليد التفكير الفلسفيّ التي سيّجت المُتفلسفة جماعاتٍ جماعاتٍ. ولعلّ غياب النسق التقليدي عن المُصنّف جعل المُترجِم يُغلِّب راديكاليّة الأكاديمي في التعامل مع جدّة ليس لها ما يضاهيها في مقاييسه فرجَّح أنّ النص بلا منهج. استيهام المُترجِم هذا، إن صحّ، لا يُعفيه من المسؤوليّة ولا يُبرِّر خطأه. خاصّة وأنّ النص يطرح قضايا نظريّة شديدة الدقّة وخطط تفكير تعمل وفق مسطّحات (des plans) وتتشكّل عبر إحداثيّات تنافريّة وتنضيدات وأدفاق، في إطار مكنيّة تجريديّة جامعة.

أمّا في خصوص سوء اختيار الـ "سطيحة" ترجمةً لـ Plateau فهو نتيجة حتميّة لإسقاط المنهج من ناحية، ولعدم

الإلمام بطبيعة المشروع النظرانيّ لغواتّاري ودلوز ولا بطبيعة الكتابة والتفكير في هذا المصنّف المشترك من ناحية أخرى.

اختلال المعنى في "سطيحة" وانحراف الترجمة عن مراد الفيلسوفيْن

رأس الأمر في انحراف الترجمة في "سطيحة" تعريبًا لـ Plateau هو كون "السطيحة" فضاءً مغلقًا ومنغلقًا على ذاته، ممّا يعني التضادّ التام مع سياق النص ومنهج المصنّف بشكل مبدئيّ، إذ يعكس اختيار "سطيحة" ترجمة لـ Plateau جهلًا تامًّا عند صاحب الترجمة بالسياق الفكرانيّ الذي بين يديْه كما بمنهجه وبأدواته. فمن غير الممكن لمن كان عالمًا بالطرح العلميّ لدلوز وغواتّاري في أعمالهما المشتركة أن يُترجم Plateau بلفظ يدلّ على فضاء مغلق وطوبيقا منغلقة على ذاتها، وهما اللذان تصدّا للتحزيز والإغلاق والانغلاق. فالسطيحة لا تكون سطيحة لو انفتحت وانفرجت، فهي بالأصل وعاء لحفظ الماء أو الزاد في السفر والترحال، يعني أنّها فضاء منغلق بامتياز، وشرط كونه سطيحةً هو الانغلاق. ثم إنّ السطيحة تقوم على انكفاء الفضاء على ذاته، وبالتالي لا يمكن أن تتصل السطيحة بالسطيحة، فقط تكون السطيحات متجاورة بينما منطق المساطح في المصنّف يقوم على الاتصال التحتانيّ بين المسطح والمسطح، اتّصالًا تحتانيًّا، عرضانيًّا، جذموريًّا وذلك بدليل قول الفيلسوفان من الصفحة 33 من المتن الفرنسي:

«Nous appelons ‘plateau’ toute multiplicité connectable avec d’autres par tiges souterraines superficielles, de manière à former et étendre un rhizome. Nous écrivions ce livre comme un rhizome. Nous l’avons composé de plateaux».

والجذمور يتحرَّك عَرْضانيًّا في ما لا نهاية. كما أنّهما يُماهيان في الصفحة نفسها بين: RHIZOMATIQUE = SCHIZO -ANALYSE = STRATO-ANALYSE- وهذه المعادلة حريّ بنا التوقّف عندها من جهة ما هي مفتاح فهم ضروريّ. فمن جانب هي تدلُّ على أنّ الجذموريّة بما هي صنف حركة وصيغة تفكير يوائمها سطح منبسط وهو "strate" (الطبقة) ونعرف ما جاء في الكتاب من فهم جيوفلسفي جديد لـ"الطبقة" وما يشتغل عليه دلوز وغواتّاري في نظريّتهما الجيوفلسفيّة للصُّعُد والمساطح في مفهومي "الخريطة" La carte و"الطبقة". مما يُحيل على منطق مساطح حاكم، لا سطيحات. ومن جانب آخر، ثمّة في هذه المعادلة إشارة مهمة لتأكيد العلاقة التناظريّة بين تفكير جذموري وتحليل فُصامي وفكرة تحليل تراصفي (أي تراصف الطبقات Stratification) يقرأ تراكب الطبقات وتراصفها سطحانيًّا. وربّما هي من المرّات النادرة في الكتاب تحضر هذه الإشارة إلى Strato-analyse. بمعنى أن التحليل لا يكون في غير انبساط وبسط. والواقع أنَّ أي تحليل لا يمكن أن يكون على غاية من الوضوح إذا لم يكن على مُنبَسَطٍ سَطْحانيٍّ يكشف أمامه كل الصور والتفاكير والتفاصيل. وهذا يدلّنا أيضًا على أنَّ تحليلًا فُصاميًّا هو تحليل على طبق وعلى طبقة مما يجعله على غاية من المُكاشفة والكشف، وأنّ الجذموريّة، وهي صفة التفكير العَرْضاني، لا تتواءم إلا مع هكذا ضرب من التحليل، أي التحليل الفُصاميّ الذي يظهر في هذه المُعادلة نظيرًا لتحليل مَسطحيّ وطَبَقيّ (من الطّبقة) Strato-analyse.

ثم ما يزيد تأكيدًا على هذا الفهم أنَّ المعادلة كاملة وردت على هذا النحو:

rhizomatique=schizo-analyse=strato-analyse =pragmatique=micro-politique

مما يدلّ على أنّ المنظور العرضاني في تحليليّته الفُصاميّة، التي لا تكون غير تحليل منبسط، هو ضرب من البراغماتيّة الضروريّة لفهم ميكروبوليطيقي مُعَمَّم. وأنّ المسألة تتعلّق، كما أشار من قبلنا أنطونيو نيغري، باستفتاح لمشروعٍ ماديّة تاريخيّة عَصْرانيّة. وقد أشار، من بين ما أشار إليه نيغري، إلى المكوّنيْنِ الأخيريْن في المُعادلة أي pragmatique=micro-politique، أنّهما طرف معادلة المسطحيْن 12 و13. ويَستغرب المرء كيف بالمُترجِم يختار "سطيحة" فيما يزخر المصنَّف باستعراض التوجّه الفكرانيّ للفيلسوفيْن الذي يتعارض مع منطق السطيحة. فالفيلسوفان يعتمدان الفضاء الريماني لا الإقليدي، الأملس (espace lisse) لا المحزّز (espace strié)، النوماديّة لا الاستقرار، الحركة لا الركود، التنافر لا التجانس، الجذمور لا الجذر، إبطال الأرضنة، إبطال التشفير décodage، الانفلات La fuite. وهذا الأخير إنّما يتعارض بالتمام مع منطق السطيحة في الحفظ. يعني جميع استعمالات الفيلسوفيْن للفضاء وللحركة تتناقض وانغلاق السطيحة وانكفاءها وركود الحركة داخلها، فالسطيحة سجن. فضلًا عن أن السطيحة لا تقبل التنوُّع جوّانيًّا بخلاف الـ plateau الذي يقوم أصلًا على "التنوُّع" (كما جاء في الشاهد أعلاه) لأن السطيحة تحمل فقط جنسًا واحدًا من الأشياء، وغالبًا ما يكون ماءً. فضلًا عن ذلك، يتنافى اعتماد المنطق المكنيّ ومنطق التنضيد l’agencement مع منطق "السطيحة" خاصة والتنضيد يعمل على الجمع من خلال النَّضْدِ والنَّظم والضمِّ، بينما السطيحات لا تجتمع إلا بالتجاور. وعليْه فإنّ "السطيحة" اختيار غير موفَّق ولا ملائم لسياقات المُصنّف ولا لموضوعاته ومفاهيمه، وكان الأجدر العمل بـ"المِسْطح" أو "المَسْطَح"[14]. نقطة أخيرة في هذا العنصر من التحقيق

تتعلق بملاحظة لا يمكن تخطّيها وتخصّ "تلاعبًا" بدا من طرف المُترجِم بمعنى "السطيحة" في تقديمه للترجمة. وهذا التلاعب، في رأينا، يعكس اضطراب المُترجِم في التقدير، إذ أوحى كلامه بحسم مرتبك، حيث ظهر متناقضًا في سياق، ومتلاعبًا بالكلمات في سياق آخر. أمّا التناقض فتجده في نهاية الصفحة 5 وبداية السادسة إذ تُناقض السطيحة، وهي المزادة، كل معاني المفاهيم والمصطلحات الدُّلوغواتّريانيّة في (M.P) التي أوردها المُترجِم كتعبير عن السطيحة (وبخاصة في الص9) من مثل أنّ الكتاب "تأكيد على الأملس... إنّه فضاء مفتوح، متعدِّد الأبعاد" وهذا يتناقض تمامًا مع السطيحة من حيث إنها فضاء مغلق. ثم قوله "السطيحة جذمورية" و"السطيحة تضريس مُنبسط"!! و"السطيحة هي هذا المنبسط الذي يكتفي بطيّاته وتعرّجاته وأفقيّته المُضادّة للعمودي أو للمتعالي أيًّا كانت صيغته"!!! (ص6)، وهاته السياقات كشفت عن تناقض غريب يعجب المرء كيف يصدر عن رجل علم في مستوى تجربة العيّادي العلميّة والأكاديميّة؟!!

أمّا التلاعب فهو شديد البيان من نفس الصفحة السادسة حيث يقول: "والسطيحة من سطح وساطح ومسطوح وسطيح، وسطح الشيء بسطه وسوّاه ومدّه وطرحه، وسطح البيت سوّى سطحه، والسطح في الهندسة ما له طول وعرض، وجمعه سطوح وأسطح وهو ظاهر الشيء، وسطح كل شيء أعلاه، وهو ما يُبنى حوله، وهو ما يفصل ـ يصل بين شيْئيْن، وبهذا **تكون السطيحة في الأصل مزادةً تكون من جِلْديْنِ يُضمُّ بعضهما إلى بعض وِعاءً للماء أو للزّاد**". (والتشديد من عندنا) وجب الانتباه شديدًا ههنا إلى أنّ في هذا الكلام مُشاغِبيّة بيّنة حيث كان التلاعب موجّهًا لإيهام القارئ أنّ السطيحة من السطح، والحال أنّ السطيحة مزادة منغلقة على ذاتها ووظيفتها حفظ المادّة التي تحتويها ممّا يمنع عنها الانبساط تمامًا. فإذا انبسطت فقدتْ ماهيتها. ثم إنّ السطيحة اسم أمّا البقية فأفعال وأسماء في سياقات مغايِرة تمامًا للسطيحة. إنّ ما يمكن أن يستنتجه المُحقِّق ههنا أنّ التناقض كما التلاعب كانا اصطناعًا. ربما يُعزى إلى رغبة من المُترجِم في إقناع القارئ بما أدرك الخطأ فيه متأخِّرًا، وهو اختيار "السطيحة"، وذلك في مكابرة عن تصويب ما يتطلب مراجعة أخرى للنص. وهنا نعود إلى نفس الملاحظة السابقة في الاستعجال وقلّة الصبر على النصّ.

مقترح: لو شئنا الذهاب أعمق في تأويل Plateau طِبقًا لما عليه المصنّف لقلنا إنّ Plateau هذا هو ذاته "الطبق" بالمعنى القرآني الوارد في الانشقاق/ 19 "لَـتَـرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ" و"الطبق" هو الحال من أمر الإنسان. ويُقال "كنت على أطباق" أي على أحوال. وفي المعنى اللساني عند العرب أنّه جاء في المعاجم عندنا في معنى "الطبق"، من بين ما جاء، أنَّ الطبق وجه الأرض، وأنّه أيضًا ما يَعُمُّها من ماء ونحوه كالقول "غيثٌ طَبَقٌ". وجاء في **اللسان**: "والطَّبَق والطَّبَقة: الفَقْرة حيث كانت، وقيل: هي ما بين الفقرتين، وجمعها طِباق والطَّبَقة: المفصل، والجمع طَبَق، وقيل: الطَّبَق عُظَيْم رَقيق يفصل بين الفَقارَيْن؛ قال الشاعر:

أَلا ذهبَ الخُداعُ فلا خِداعا
وأَبْدى السَّيفُ عن طَبَقٍ نُخاعا

(...) وفي الحديث: وتَبْقى أَصْلابُ المنافقين طَبَـقًا واحدًا". وجاء كذلك عن نفس المرجع أنَّ المِفصل طَبَقُ العظميْنِ "وهو طَبَقُ العظمين أَي ملتقاهما فيفصل بينهما، ولهذا قيل لأَعضاء الشاة طَوابِقُ، واحدها طابَقٌ، فإذا فَصَّلها الرجل فلم يُخطئ المفاصل قيل قد طَبَّقَ". وكذلك بالنظر إلى ما تعارف عندنا في الثقافة العربيّة عن معنى الطبقة فإنّها المساحة الافتراضيّة التي توسم الشِّدَد les intensités الفنِّيّة (والفنّ عندنا ليس كما هو عند الغرب مقصور على مجموعة بعينها من المسائل الذوقيّة، إذ الفنّ في لسان العرب وثقافتهم يشمل كلّ مهارة بان فيها الاقتدار) كأن نقول طبقات الحدس، طبقات الذكاء، طبقات العلماء، طبقات الشعراء، طبقات الأطبّاء، وهكذا. في الواقع، نحن العرب لدينا في ثقافتنا اللسانيّة والاصطلاحيّة معاني الطبقة Le strate كما جاءت في M.P. الفرقُ هو أنَّ غواتّاري (ودلوز) فصَّل فيها المعنى بتوسُّع نظرانيّ بينما نحن نوجزها أمبيريقيًّا.

خلاصة القول، إنّه مع كل هذه المعاني التي تقع في صميم عبارة Plateau في هذا المُصنَّف، واستئناسًا بما أشار إليه الفيلسوفان من تحصيل تحليل طبقيّ Strato-analyse، فضلًا عمّا اشتغلا عليه في مسألة "الطبقة" و"التراصف" stratification، يمكن اقتراح ترجمة **ألف طبق** لـ *Mille plateaux* (ولاحظ أنّ مُطاع صفدي أيضًا ترجم plateau في **ما هي الفلسفة؟** بـ"طبق"). وحتّى إن تمّت ترجمةُ plateau ترجمةً حرفيّة بالـ"الطبق" الذي هو إناء مسطّح لرَفْع وبسط الأشياء، فهو أقْـوَمُ معنًى ودلالة من "السطيحة".

4. انحرافات الترجمة في النصوص الدُّلو ـ غواتّريانيّة الثلاثة : أوديب ـ مُضادًّا (A.Œ)، ألف مسطح (M.P)، ما الفلسفة؟ (Qu.Ph)

1.4 الرَّدْبُ التُّرجمانيّ: المأزق الترجمانيّ الخطير في ترجمة «Moléculaire» إلى "الهبائي" وتخريب المعاني في المتون الثلاثة

سمّيْنا ما سنأتي على فسره وتِبيانه بـ"الرَّدْب التُّرجمانيّ" (L'impasse traductionnelle) لأنّه ولا ريْبَ ردبٌ. إذ نحن لا نتحدّث ههنا عن مجرّد خطأ في ترجمة عبارة عارضة يمكن أن يَسْتُرها السياق، ولكنّنا نتحدّث عن ترجمة "مفهوم عمادٍ" و"مصطلح إجرائيّ تقني" شديد الاستعمال عند غواتّاري منفردًا، وعند دلوز وغواتّاري في نصوصهما الثلاثة (أي "Qu.Ph"، "M.P"، "A.Œ"). وإنَّ الخطأ في نقل هكذا مفهوم متوزِّع على ثلاثة متون من الوزن الثقيل، يعني تعريض النص المُتَرجَم إلى خلط مفهوميّ شنيع سيضرّ بالنص المنقول إلى اللسان العربيّ ويجعله عُرضة لسوء الفهم وإلى الانحراف عن المعنى المعروض في النص الأصليّ. وقد أضرّ بـ **أوديب ـ مُضادًّا** وبـ **ألف مسطح** أيما ضرر، حيث خرَّب في الكتاب الأوّل ثلث الكتاب، ثم خرَّب في الثاني مواضع شتّى من المساطح كلها ـ إذ لا يكاد يخلو مسطح من استعمال Moléculaire ـ، وبصورة مكثّفة المساطح 2 و3 و4 و5 و9 و10.

يُترجم العيّادي "moléculaire" إلى "الهبائي"! و" La molécule" إلى "الهباءة"! وهي ترجمة صادمة ومرعبة إذ سينقلب المعنى مرّة واحدة إلى النقيض، فنخرج بالإهباء من سياق "التنافر" الدُّلوغواتّرياني (l'hétérogénéité) إلى سياق "التناثر" (la dispersion) أو (L'éparpillement) عند العيّادي. وهذه الترجمة الخاطئة تخبط جمل وفقرات النص المُتَـرجَم بعضها ببعض، إذ تجعل الجملة والجُمَل متناقضة تركيبيًّا ودلاليًّا. هذا الخبط وهذا الانقلاب في المعنى هو نتيجة بديهيّة لعدم اطّلاع الأستاذ المُترجِم على فلسفة فِلكس غواتّاري ولا عن كيفيّة توظيفه لـ "moléculaire" ولا عن مواضع استعمالاتها من كتبه وسياقاتها من فكره.

فلنتّفق أوّلًا على كون Molécule هي الجُزَيْء اللامرئيّ المكوِّن لكل كيان ولأي شيء كان. وهذا الجُزَيْء هو فعليًّا "الجُزَيْء التركيبيّ المُؤَسِّسُ" في كل عمليّة تكوين أو نشءٍ أو تأسيس فيزيائيّ. ويغدو من غير الممكن أن يكون ثمة "كونٌ" ـ بالدلالة الأرسطيّة ـ في غيابه. وبانعدام الـ Molécule لن يكون ثمّة وجود لأي كتلة، وهذا هو الفرق بين molaire و moléculaire. أي الفرق بين "جُـزَيْء تركيبيّ مؤسِّسٍ" أصغرٍ ضروريّ الاتصال وبين كتلة متكوِّنة من الجُزَيْئات المتّصلة. ومن غير هذا "الجُزَيْء التركيبيّ المُؤَسِّس" لا يمكن أن تكون حياة ولا طبيعة ولا عالَمَ "كون وفساد". والـ Molécule أي "الجُـزَيْء التركيبيّ المُؤَسِّس" تتشكَّل من اتّصال ذرَّتيْن فأكثر، وبالتالي يكون هذا الجُـزَيْء المُؤسِّسُ هو نواة التنافر الخلّاق الذي هو هيولى "البُوِيُوزيس". فلولا هذا الائتلاف التنافريّ لما كان شيء على وجه الإطلاق. بل إنَّ منطق "التنضيد" L'agencement الذي يعمل من خلاله الفكر في الكتب الثلاثة يتطابق مع منطق الجُـزَيْئانيّة هذه La molécularisation بما هي صيرورة تنضيد.

إنّ الأصل عند غواتّاري ودلوز في ما يَطرحانه هو التنافر الخلّاق (وهو البُوِيُوزيسيّ غواتّريانيًّا) الذي تكون الغاية منه إيجاد ضرب من الاتّساق المُبطِل لتفكير التجانس البسيط والتقليدي، وبالتالي إيجاد ضرب من القِواميّة التنافريّة المنتِجة [بُوِيُوزيسيًّا]. هذا التنافر النتّاج يعمل، في جانب منه، على منطق "الجُزَيْئانيّة" La molécularisation وطبعًا هي مفهوم مستحدث أبدعه غواتّاري. ومن هذا المنطق "الجُـزَيْئانيّ" أتى كتابه *La révolution moléculaire* تأكيدًا على الحركان المُحايث للتكوين الأنطولوجيّ في ضرب من التماثل بين تفكير ميتافيزيقيّ وتفكير فيزيقيّ. وإذا تابعنا كل كتابات فلكس غواتّاري لأدركنا جيّدًا هذا التوجّه نحو البيوـأنطولوجي والأنطوـبيولوجي وأمبيريقا الميتافيزيقيّ. وحتى في كتاباتهما الثلاث الكبرى نلحظ بوضوح شديد هذا التوجُّه للوصل العِلميّ بين مختلف الاختصاصات المعرفيّة، وأنّه لا وجود لمعنى الحدود الفاصلة بين المعارف. المسألة إذًا لا تتعلّق بتشظٍّ أو تناثر نتيجته الاندثار، وإنّما تتعلّق بفرق أمبيريقيّ يعمل على فسر الاتساق التنافريّ. وما يزيدنا تأكيدًا على هذا الفهم، هو العمل من خلال مفهوم "التنضيد" L'agencement ومفهوم "التكوين التنافري" L'hétérogenèse (وهي مفاهيم من إبداع فلكس غواتّاري)، وقانون التنضيد هو القانون ذاته الذي يكوِّن الجُزيء La molécule، إذ لا يكون الجزيء جُزيئًا إلا بتنضيدٍ بين ذرَّتيْن وأكثر. فضلًا عن كونه من غير الممكن بمكان أن يعمل الفيلسوفان في كتبهما الثلاثة وفق مسّطحات مُحايَثة واتساق (immanence et consistance) ووفق فضاء اتّجاهي (espace vectoriel)، مع اعتمادهما "الخاووسموس" أو الشّواش النسيق (chaosmos) (وهو مفهوم من ابتكار دلوز منذ **فرق ومُعاودة**) الذي كان عماد اشتغال تأسيسيّ في (M.P) وبخاصّة المسطح الحادي عشر ثم واصلا اعتماده في (Qu.Ph)؛ ثم من بعد ذلك يعتمدان "الإهباء"!، أي كأنّهما يعملان في التناقض المُشاغبيّ الذي لا يمكن أن يُؤدّي إلى أي تأسيس علميّ أو نظر معرفيٍّ، وهذا مُحال. ثم بالعودة إلى مفهوم "التنضيد" L'agencement، نتساءل كيف يُعقل أن يشتغل الفيلسوفان وفق التنضيد الذي هو حجر أساس في النسج الفكرانيّ عندهما، ويأتيان من بعد ذلك على نقض هذا النسج من خلال الإهباء؟! خاصّة وأنّ جوهر الجُزَيْئانيّ/ الجُزَيْئيّ moléculaire هو التركيب ونضد الذرّات بعضها ببعض. يعني أنَّ الجُزَيْء المُؤَسِّس قائم في جوهره على "التنضيد" L'agencement.

إنّ الفكرة الفيصل التي ينبغي الانطلاق منها ههنا هي أنَّ الأصل في الجُـزَيْءِ المُؤسِّس Molécule هو التكوين، بينما الأصل في الهباءة الانفراق ومن ثم التفريق. فحتّى لو كانت الهباءة متكوِّنة من جُسيمات غير مرئيّة، بمعنى ذرّات مُكوِّنة، فإنّه لا يُنتظر منها اتصالًا بهباءة أخرى قصد التكوين. وهذا هو مضرب الفرْق في التحقيق الذي نحن بصدد طرحه. إنَّ أنطلاخيا الهباء الانفصال ولا تكون الهباءة في وضعيّة اتّصال بأي حال من الأحوال وإلّا لما كانت هباءة. وحتى بالرجوع إلى المعاجم، نجد أنَّ تعريفات الهباءة/ الهباء كلها تندرج في معاني التناثر والاندثار والانفراق. يعني أنّه مُحال أن يصل الهباء إلى لحظة اتّصال قصوى إنّما هو المُضادّ الأصلانيّ للاتفاق والاتّصال، والأهمّ أنّه مُضادّ للتنضيد L'agencement.

المفارقة الكبرى التي تفصل في فهم الغلط عند العيّادي يكشفها المصنّف ذاته. ففي كتابه الأوّل مثلًا، أي **أوديب ـ مُضادًّا**، نتساءل كيف لمشروع نظرانيّ يقوم على المكنيّة المُجرَّدَة وعلى منظومة المكنات الراغبيّة (في مخالفة لـ الليبيدو) وعلى اللاوعي بوصفه مصنعًا لا مسرحًا، وعلى جملة تفكير في اللاوعي أساسه الإنتاج La production أن يصبح في النص ذاته هبائيًا؟! مقولة "اللاوعي الهبائي" هي مقولة ناسفة لكل هذا الصرح النظرانيّ منذ الجملة الأولى من الكتاب. بل إنّ مقولة "اللاوعي الهبائيّ" هي مقولة ناسفة للاوعي من أصله. والحال أن دلوز وغواتّاري لم يفعلا ذلك، أي لم يرفضا فكرة "اللاوعي" بل أكّدا شديدًا على أهميّة مفهوم "اللاوعي"، ولكنّهما أوْجدا له فهمًا مغايِرًا عن النظر الفرويدي. ثم إنَّ مقولة "اللاوعي الهبائي" التي يعتمدها العيّادي ترجمةً لـ L'inconscient moléculaire إنّما هي مُضادّة تمامًا **"للاوعي المكنيّ"** وهنا نقع بحق في صميم الخُلْفِ، ذلك أنَّ منهج غواتّاري في اعتماد الجُزَيْئانيّة La molécularisation هو من صميم عمله في اللاوعي المكنيّ L'inconscient machinique. فحتى عندما تقرأ كتابه **اللاوعي المكني** L'inconscient machinique - Essais de schizo-analyse ـ (وهو كتاب من بين أهم كتبه، صدر سنة 1979 ويُعَـوَّلُ عليه في التأسيس لنظر علميّ رصين في اللاوعي المكنيّ) تجده يعتمد مقولة l'inconscient moléculaire اللاوعي الجُزَيْئانيّ (أو الجُزَيْئي) باعتباره الجاهزيّة المكنيّة في تكوين لا وعي [مكنيّ] نتّاج، صانع. فالـ moléculariسation الجُزَيْئانيّة وهي تنضيد تنافريّ جزيْئي، تكون العامل الأهم في تشكيل عمليّة تنافريّة تكوينيّة من خلالها يمكن للمحلّل فهم التنافر الأنطولوجيّ والنفسانيّ حيْثانيًّا. وباختصار، إن قضية الـ moléculariسation هذه هي عنوان الخبرانيّة التي أقامها غواتّاري في التحليل النفسانيّ. لقد أدخل غواتّاري اللاوعي إلى "المخبر"، وأجرى تجريبًا حقيقيًّا لإمكان أمبيريقا ميتافزيقيّة. وهذا ما يُفسِّر اعتماده مفاهيم علمية بيولوجيّة في الاشتغال على اللاوعي من مثل الـ A.D.N ومن مثل الفيلوم phylum. واعتماده المفاهيمي هذا لا يستقيم، بأي شكل، مع منطق الإهباء الذي ذهب إليه العيّادي في الترجمة.

ثمّة نقطة أخرى جد مهمّة ولا ينبغي إهمالها في هذا المستوى من التحقيق، وهي أنّ دلوز وغواتّاري كانا على قدر هائل من الحصافة في التدرّج بالمعاني حتى بلوغ الفصل التأسيسي في التحليل الفُصامي بعنوان "مقدّمة للتحليل الفُصامي" وهي الفصل الرابع من الكتاب "A.Œ" Introduction à la schizo - analyse (p. 329 ـ 462) وتمتدّ في الترجمة من الص385 إلى الص538، وتُعَـدُّ هاته المقدّمة المرجعَ النظريّ التأسيسي في الفلسفة للتحليل الفُصامي وضمنها بَسَطَا منطق اللاوعي الجُزَيْئانيّ L'inconscient moléculaire. ما ينبغي الانتباه إليه جيّدًا ههنا هو أنَّ الفيلسوفيْن قد تدرَّجا أيضًا في بسط هذا المفهوم المركزي (ونقصد اللاوعي الجُزيئانيّ). فأول الأمر جعلا القارئ يُفرِّق بين ما يمكن توصيفه بالـ macro - inconscient وهو اللاوعي الفرويدي وبالـ micro - inconscient وهو L'inconscient moléculaire. وقد أوردا تدقيقًا منهجيًا في ذلك على غاية من الوضوح، يجعل من هذا اللاوعي بالفهم الجديد ضربًا من التركيب الدقيق لتنافريّة نتّاجة ما ينفي عنه تمامًا منطق الإهباء. وهذا التدقيق تجده، عزيزنا القارئ، مثلًا في الصفحتين 336 ـ 337 من النص الفرنسيّ. هذا التفريق بين الميكرو والماكرو في تفكير "اللاوعي" يجعلك تُدرك أنَّ القضيّة عند الفيلسوفَيْن لا تتعلق بالأضداد: كتلوي وهبائي، بل بالتنافر وبالتمايز الوظيفي بين الكتلوي والجُزَيْئي. يعني لو أنَّ المُترجِم كان يُترجم عن دراية بالمشروع وملمًّا بتفاصيله وعالمًا بشدَّته التركيبيّة، بل والتعقيديّة أيضًا، لأمسك هذا الخيط من أوَّله وأحسن نقل المفهوم إلى اللسان العربي وأكرم النصّ الذي هو بين يديه أمانة علميّة ومسؤوليّة إتيقيّة. إذ ما الذي يجعل الأستاذ العيّادي يترجم مفهومًا خطير الإجرائيّة كهذا المفهوم إلى "الهبائيّ" فيخرجه من منطق التنافر إلى التناثر، ومن منطق المكنيّة إلى الإعدام سوى جهله بالمفهوم نفسه، حتّى إنّه ظهر خالطًا بين التنافر والتناقض! ويبدو أنَّ هذا الخلط أَجْـرَأَهُ على ترجمة جمل وفقراتٍ تتضارب فيها المعاني تضاربًا بيِّـنًا ذهبت بأكثر من ثُلث الكتاب.

ومن عيِّنات هذا التناقض أنّه يُترجِم مثلًا «chaîne moléculaire» بـ"سلسلة هبائيّة"! (أَ وَ ينعقد الهباء سلسلةً؟؟!!) وحين تقرأ ما كتبه دلوز وغواتّاري مثلًا عن هذه "السلسلة" من الصفحات 394 و395 و396 تُدرك جيِّـدًا أنها سلسلة تنافريّة تعمل وفق نظام تنافريّ وليست لحظة هبائيّة. كما نرى المُترجِم يقول عن micro - molécule

و molécule géante هباءة صغرى وهباءة ضخمة. أَوَ تكون الهباءة ضخمة؟؟! والله إنّها لمن عجائب الأمور. (انظر موضعًا من بين غيره ص460 والص396 من الترجمة التي جاء فيها "الهباءة الهائلة"). لا ننسى أيضًا ما ورد بخصوص هذه "السلسلة الهبائيّة" من مقاطع ومواضع في M.P. ثم في هذا الكتاب أيضًا (ونقصد **ألف مسطح** M.P) تحدَّث الفيلسوفان عن Devenir - moléculaire. تخيَّل أنّ العيّادي يترجمها بـ التصيُّر هبائيًّا!! يعني حين يقرأ القارئ العربي هكذا نص لا يمكن أن يتبادر إلى ذهنه سوى التناقض، وأنَّ الفيلسوفيْن يشطحان شطحات أدبيّة مُشاغبيّة لا قِبَلَ للفلسفة بها.

ومما يؤكّد وقوع المُترجِم في التناقض أنّه يُترجِم مثلًا des devenirs - moléculaires souterrains (انظر ص145 من الأصل الفرنسي/ ص198 من الترجمة) بـ"تصاييرهبائية خفيّة"! ويبدو أنّه كان يُدرك وقوعه في التناقض ويدرك مأزق مصطلح الهباء في التعبير من حيث لا يكون الهباء تحت أرض البتّة، فاختار التلاعب بلفظة souterrain على الرغم من أنها مصطلح إجرائي لا يمكن تغييره، وبالرغم أيضًا من أنّه يترجمها في كل المواضع بـ"تَحْأرضيّ". فلا نملك إلّا أن نقول: أي عزّة بالخطأ هذه، وأي مكابرة على التصويب العلمي!!

ثم قوله مثلًا في ص146 من الترجمة "تنضيدُ تلفّظ هبائيّ" ترجمة للعبارة من ص107 من الأصل الفرنسي «agencement d'énonciation moléculaire» "الذي يجمع الكثير من أنظمة العلامات المتنافرة" (تكملة الجملة من نفس الصفحة) يعني كأنّه يقول إنّ الهباء يُنضَّدُ ويُجمَع! وهذا خَـلْف وخبط ولا يندرج قوله بـ "اقترانات هبائيّة" ص372 «des conjonctions moléculaire» p. 273 (M.P) أو قوله "اتجاه آخر تحت ـ هبائي" ص372 «une autre direction sub - moléculaire» p. 273 (M.P) إلّا في إطار التناقض. ثمّة أيضًا موضع كارثي في M.P وهو الذي يمتدّ في الأثر الفرنسي من الص333 إلى الص351 (وفي الترجمة 452 ـ 475) وعنوانه: «Souvenirs d'une molécule» يترجمه العيّادي بـ"ذكريات هباءة"! وهذا المقطع الطويل من المسطح عدد 10 يشتغل فيه الفيلسوفان على فهم مخصوص لـ"التصيُّر". وحدِّث ولا حرج عن التناقضات السياقيّة الصادمة. إليك على سبيل المثال: "كل التصيُّرات هي بالفعل تصيُّرات هبائيّة. ذلك أنَّ التصيُّـرَ ليس محاكاةً لشيء ما أو لشخص ما، ليس تطابُقًا وإيّاه. ليس هو كذلك ملاءمة علاقات صوريّة. ولا واحد من شكليْ المماثلة هذين يلائم التصيُّر، لا مُحاكاة ذات ولا تناسبيّة صورة. يكون التصيُّر انطلاقًا مما لنا من صور، من الذات التي نحن إياها، من الأعضاء التي نمتلكها أو من الوظائف التي نقوم بها، استخلاص جُسيْمات نُقيم بينها علاقات حركة وسكون، سرعة وبطء، الجُسيْمات الأقرب إلى ما نحن بصدد تصيُّره، والتي بواسطتها نتصيَّر". (ص.ص 452ـ453 من الترجمة) انظر مدى التناقض في هذه الفقرة في العلاقة بين فكرة التصيُّر، كما يطرحها الكتاب، ومنطق الإهباء في التصيُّر الهبائي الذي هو بالأصل لفظ مشاغبيّ: التصيُّر والصيرورة Devenir والهباء!! لا يجتمعان معنًى. وقس على هذا التناقض كامل المقطع وكامل النص. زد على ذلك ما يجمعه المُترجِم من تناقض في الفقرة الواحدة من قول بالتنضيد والإهباء.

يقول أيضًا "إفراز جُسَيْمات تأخذ علاقات حركة وسكون معيّنة لأنّها تدخل في منطقة جوار مُعيّنة؛ أو: إنَّها تدخل في هذه المنطقة لأنّها تتخذ تلك العلاقات: هذيّة لا تنفصل عن الضباب أو عن البُخار اللذيْن يتوقفان **على منطقة هبائيّة، على فضاء جُسَيْميٍّ**. الجوار مصطلح طوبولوجي وكوانتي في نفس الوقت، يتعيَّن الانتماء إلى نفس الهباءة بغضّ النظر عن الذوات المعنيّة وعن الصور المُحدّدة" (ص453). انظر ههنا التناقض بين منطقة هبائية وفضاء جُسيْميّ، وهبائي مع طوبولوجي وكوانتي. **(والتشديدبالأسودالغليظمنعندناوفسرهفيالملاحظةعدد3)**. وقد اقتصرنا على النَّـزْرِ من الأمثلة لاستحالة نقل كل شيء.

ولا يمكن للمرء إلا أن يندهش من هذا التناقض الذي يُظهر خلطًا بيِّـنًا عند المُترجِم بين التنافر/ ـيّة وبين التناقض. ولكنّنا لن نعجب كثيرًا من ذلك لو أنّنا انتبهنا لقوله مذ تصديره لـ **ألف مسطح**: "الكتابة عند دلوز وغواتّاري (...) هي سيرورات وتصيّرات لكثرات قد تصل حدّ التنافر" (ص7)، والحال أنَّ النص في قلب التنافر، وفي قلب التكوين التنافري L'hétérogenèse.

ملاحظة 1: هذه الترجمة إلى "الهبائي" تواصلت أيضًا في **ما الفلسفة؟** الترجمة الصادرة سنة 2024، وقد ارتأينا التركيز على مصنّف **رأسماليّة وفُصام** لما لأهميّته من ناحية بناء وتشكّل المفهوم محور التحقيق، إذ كتاب **ما الفلسفة؟** هو كتاب بيداغوجيا فلسفيّة أكثر من كونه مشروعًا نظرانيًّا. وقد جاء كتحصيل حاصل نظرانيّ لما تمَّ إنتاجه في كِتابيْ **رأسماليّة وفُصام**. وعليه، يصحّ على "الهبائي" في **ما الفلسفة؟** ما كتبناه في هذا التعليق النقديّ بلا إعادة ولا هذر.

ملاحظة 2: إنّ ما أوقع العيّادي في الخلط والغلط في تقديرنا هو كونه لم يُدرك أن الاشتغال وفق خطّيّة تنافريّة يستقيم معه القول بسلسلة تنافريّة تُنضّد الفروق والانفلاتات. بل إنَّ التنضيد نفسه لا يقوم إلا في مزاج تنافريّ

(Hétérogénéité). هذا وغيره من تفكير التنافر الغواتّرياني مُحال فَهمه لمن لم يكن ملمًّا بما كتب فِلِكس غواتّاري، ولمن لم يكن على دراية وعلى مستوى جيِّد من الفهم لمنهج التحليل الفُصاميّ. وعدم إدراك الأستاذ المُترجِم لهذا الخط الفكرانيّ والنهج العلميّ جعله يقع في مأزق التناقض وهو مطبّ مُهلِكٌ.

ملاحظة 3: يعتمد العيّادي "الجُزَيْء" ترجمةً لـ corpuscule وهي ترجمة خاطئة من حيث يُتَرجم اللفظ إلى "جُسَيْم". ولاحظنا أنّه يترجمها "جُسيْم" حين يجد نفسه في مأزق "الجزيئانيّ" moléculaire. أي حين يجتمع لفظ «corpuscule» بلفظ «molécule» والجملة الواردة أعلاه أقرب مثال. لذلك قلنا من البداية إنَّ ترجمة «moléculaire» بـ"الهبائيّ" هو ردب ترجمانيّ.

2.4 في الخلط بين schize.s و schizo.s في "أوديب ـ مُضادًّا" (A.Œ)

يُترجم العيّادي schize.s و schizo.s على نفس النحو، فيقول عن schize.s فَصْمٌ وفُصوم وفصومات وعن schizo s - فُصاميّ وفُصاميّين، وفي هذا خلط بيِّن، إذ لم يُدرك المُترجِم الفرق بينهما ولا أدرك لعبة الجناس التي وظّفها الفيْلسوفان. فنجد أنّ دلوز وغواتّاري اشتغلا بـ schize.s في **أوديب ـ مُضادًّا** على جهة معنى التقسيم الصوريّ وعلى جهة معنى التقطيع والانقسام والقَسْم الافتراضيّين، وهذا أمر شديد البيان منذ بداية النصّ. فلاحَظ أنّه في الشطر الأوّل من الكتاب استحضر الفيلسوفان schizo على معنى "الفُصاميّ" لوحدها وفي انفصال تام عن schize. والمرّات القليلة التي أُدرجت فيها عبارة schize كانت منفصلة عن schizo وجاءت على معنى الفرق الصوريّ أو القسمة الجوّانيّة الضروريّة في التشكيل (انقسام صوريّ). انظر في ذلك الفقرة الأخيرة من ص49 من الأصل الفرنسي يقابلها ص65 من الترجمة. والغريب أنَّ الأستاذ العيّادي يترجمها "انفصامات" في مقطع لا يتحدَّث عن غير الانفصالات والتقطيعات والانقسامات[15].

ثم يتطوَّر العمل بالمصطلحيْن مُجتمعيْن في الشطر الثاني من النص. وهذا التطوُّر جاء تدريجيًّا تمهيدًا لاعتماد المصطلحات الثلاثة schize.s و schizo.s و schizophrénique.s معًا في تواتر وظيفيّ بيِّن. إذّاك ظهر المُترجِم أنَّه لا يُفرِّق بين schize وschizo والحال أنّ الفيلسوفين أعطياه الدليل على ذلك منذ إحالتهما إلى هيلميسليف في اشتغالهما بـ schize. وتلك إشارة ينبغي على الدارس للنص التقاطها لأنها مفتاح الفرق بين schize وschizo مما يدلّ على علاقة schize بالسياق الهيلميسليفي. وهيلميسليف[16] يشتغل على معنى الفرق والقَسْمِ الصوريّ والانقسام الضروريّ والتثنّي الوحدويّ في المبحثيْن السيميائي والألسني، لا على جهة الفُصام ولا على معاني الفُصام المجازيّة. ومما يزيدنا تأكيدًا على أهميّة الإشارة لهيلميسليف أنّنا نعلم شديد العلم أن غواتّاري دائم العودة إلى هيلميسليف، وكثير الاستشهاد به في مختلف السياقات من كتبه وعلى جميع أطوار مساره العلميّ تقريبًا. بل إنّ غواتّاري استقى مجموعة من المصطلحات التقنية من فكر هيلميسليف. وبالتالي فهو حين ألقى الإشارة تلك فحتى يعلم القارئ الفرق بين المصطلحيْن، وبين المقصد والمقصد. فالعمل بـ schize.s مختلف عن العمل بـ schizo.s من الناحية البُنيويّة عند دلوز وغواتّاري ولا يقصدان من المصطلحيْن ذات المعنى وإلا لم يكن من داعٍ لاستعمالهما العبارتيْن من الأصل! إذ لو كان المقصود هو الفصم والفصومات (أو الفصوم) والفُصاميُّ والفُصاميّين لكانا اعتمدا schizo.s وحدها. فما الذي يدعوهما لإرباك قارئ هو بالأصل مرتبك أمام طرح علميّ جديد غريب على الذائقة الفلسفيّة. ثم لو كان الغرض هو التنويع اللفظيّ ابتعادًا عن التكرار، فَهُما قد اعتمدا أيضًا التنويع schizo.s و schizophrénique.s. والواقع أنَّ ما يُستَغرب حقيقة من حضرة المُترجِم هو كيف وقع في فخّ الجناس هذا؟ بل كيف وقع في خلط مفهوميّ من هذا الصنف خاصّة وأنّ صاحبَيْ النص استحضرا هيلميسليف، فحتّى مَن لم يتفطّن إلى الفرق بين schize و schizo للوهلة الأولى فإنّه بالقراءة والمقارنة بين الصفحات وتطوُّر الحديث من الانقسام والتقطيع الصوريَّيْن إلى الفُصام، سيعود القهقرى في النص ليستدرك ما كان قد غاب عنه.

صحيح أنَّ المصطلحيْن يعودان إلى ذات الجذر الإيتمولوجي الإغريقي (σχίζειν) skhizein ولكن إدارتهما الاستعماليّة تختلف من سياق إلى آخر ومن صفحة إلى أخرى بل حتى في الجملة الواحدة. والواقع إنَّ اعتماد "الجناس" في توزيع schize.s و schizo.s لهو من صميم اللعب الفُصاميّ الذي يختصُّ به الاشتغال بالمنهج الفُصاميّ، فتجد نفسك وأنت تقرأ نصًّا من هذا القبيل، في انزلاق دائم وفي انفلات مستمرّ من الانضباط البنيويّ التقليدي لتكون في بنية فُصاميّة حَرَكانيّة تمنع عنك الاستقرار الرتيب في النص كما هو المُعتاد (ولِشديد الأسف أنَّ المُترجِم لم يكن عالِمًا بأسرار هذا المنهج ولا بمفاعيله ولا بكيفيّة اشتغاله، الأمر الذي أوقعه في مطبّات متوالية).

إذًا، الفيصل في حسم الأمر يكون، كما أشرنا، بالعودة إلى هيلميسليف وكيفيّة تصريفه لـ schize.s والتي يعتمدها على معنى التقسيم الثنائي لكل ما يمكن أن يُشكِّل وحدة. فهويّة أي وحدة دلاليّة، لسانيّة، سميولوجيّة تكون في اجتماع مكوِّنيْن.

تنبيه: حتى لو اعتمد العيّادي "الفَصْم" على معانيه اللسانية والاصطلاحيّة، فإنّ المعنى لا يستقيم وسيكون هذا الخيار أسوأ من الخلط بين schize و schizo على معنى الفُصام وذلك لمخالفة "الفصم" معنى schize، إذ ما يعنيه لفظ "الفَصْم" بدلالة القطع والبتر والاستئصال وفصل الإنهاءِ، هو مخالف بالتّمام للمعاني والدلالات الفَـرْقِيّة الصوريّة لـ schize. حيث يعني schize القسمة أو الانقسام أو القطع الافتراضي الذي يوجب الوصل، تمامًا كالقطع في العمل المتسلسل، أو كالقطع تثنِيَةً من غير المساس بثبات الوحدة الجامعة للطرفيْن. وثمة شاهد مهم في الصفحة 293 من الأثر يمكن أن يفصل في هذه المفارقة المُشاغبيّة التي أوقعنا فيها حضرة المُترجِم، إذ يقول الفيلسوفان: «La seule unité sans identité, c'est celle du flux-schize ou de la coupure-flux».

ويترجمها العيّادي من الص344: "الوحدة الوحيدة التي بلا مُطابَقَة هي وحدة الدّفق ـ الفصم أو وحدة القطع ـ الدفق". إنَّ هذه الجملة وحدها كفيلة بالإبانة عن أنَّ الفَصْم لا يستقيم اصطلاحًا لا على جهة معنى الفُصام ولا على جهة المعنى اللساني والاصطلاحي.

ملاحظة: نستغرب لماذا ترجم العيّادي «identité» بـالـ "مُطابقة" وهي ليست المرة الأولى!!! ولا نفهم هذا التصرُّف إلا في علاقة بعادة معروفة عند العيّادي وهي اختيار عدم تبسيط لغة الترجمة.|

ونورد في ما يلي بعض مواضع اعتمد فيها غواتّاري ودلوز schize على معنى «rupture» و«coupure» وليس على معنى التفصيم أو الفُصام، ولا على معنى "الفصم" اصطلاحيًّا ولسانيًّا. فما يجب الانتباه إليه جيِّـدًا في اعتماد les schizes على معنى انقطاع الدفق أو قطع الدفق أو انقطاعات دفقيّة أو انقطاعات الأدفاق يأتي على جهة معنى "القطع ـ الوصل" أي تمامًا بالمعنى الذي يحدث فيه التسلسل: قطع ـ وصل ـ قطع ـ وصل ← وهكذا باستمرار. وأيضًا بالمعنى الذي لا يكون فيه إبطال التشفير إلاّ سبيلًا لإعادة تشفير آخر، إذ ليس ثمة في المنطق المكنيّ قطع حاسم ونهائيّ على معنى "الفصم". فعندما يقول الفيلسوفان des flux schizes على معنى coupures-flux فهي تمامًا كما يكون الأمر في: codage-décodage-Re-codage-décodage-Re→etc.

مثلًا في الص290 من النص الأصلي:

«les figures, c'est-à-dire des schizes ou coupures-flux, ne sont donc pas du tout 'figuratives'; elles le deviennent seulement dans une constellation particulière…».

كما ورد أيضًا في نفس الصفحة:

«… des points signes à plusieurs dimensions, des coupures de flux, des schizes qui forment des images par leur réunion dans un ensemble…».

ثم ما جاء في شطريْ الص292 ومنه:

«des schizes, des points - signes ou des coupures qui crèvent le mur du signifiant…».

أما ما يزيد تأكيدًا على الفرق بين الاستعماليْن (أي بين schizo و schize) وأنَّ schize تُعتمد على جهة الفَـرْقِ والقَسْم والتقطيع وحتى التثنية، العبارة الواردة في الص297:

«La notion de flux - schize ou de coupure-flux nous a paru définir aussi bien le capitalisme que la schizophrénie. Mais ce n'est pas de tout de la même façon, et ce ne sont pas de tout les mêmes choses, suivant que les décodages sont repris… (…)».

الفعل ههنا يرد في صيغة المفرد ممّا يدل على أنّ flux-schize = coupure - flux صنوان. فلو كان يُراد بهما اثنان لجاء تصريف الفعل في صيغة الجمع المُثنّى، ولجاءت La notion في صيغة المثنّى. وفي الترجمة ص348: "مقولة الدفق ـ الفصم أو القطع ـ الدفق بدت لنا أنّها تُحدِّد الرأسماليّة بقدر ما تُحدِّد الفُصام. لكن ليس البتَّة بالطريقة عينها، وليس البتَّة الأشياء نفسها بحسب…" كذا وكذا … إلخ ممّا جاء في تعديد أسباب الاختلاف بين ما تعنيه مقولة «flux - schize ou de coupure-flux» (والعبارتان صنوان) كمحدِّد للرأسماليّة، وبين الفُصام. ثم ما جاء في بسط قول بعلاقة flux - schize بمنطق الإبطال والإعادة.

إنّ ما بات يلفت الانتباه صراحة هو كون ما يكتبه الفيلسوفان أمر، والفهم الذي في ذهن المُترجِم أمْـرٌ آخر.

3.4 انحراف الترجمة في "المسطح الثاني عشر" من "ألف مسطح" (M.P) ابتداءً من العنوان:

نبدأ ههنا من ترجمة العنوان وهو الذي سينسحب على كامل المسطح باعتبار أنَّ العنوان حامل للمفهوم الذي يقوم عليه المسطح. العنوان في الأصل الفرنسي:

12.1227 **Traité de nomadologie: la machine de guerre**

كيف يترجمها العيّادي؟ يترجمها بـ: 12. 1227 مبحث الترحّليّة: مكنة حرب. والمُفتَرض أن تُترجَم "مبحثُ نومادولوجيًا: مكنة حرب". وحجّتنا في ذلك ستنقسم إلى قسميْن، واحد ظاهر والآخر ضمنيّ.

المعنى الظاهر: يستحدث الفيلسوفان مبحثًا جديدًا في الفلسفة وهو "النومادولوجيا" على غرار بقيّة العلوم أو المباحث التي ترد بالصيغة الشكليّة ذاتها من

قبيل الإبستمولوجيا، الفنومينولوجيا، الأركيولوجيا، الجينيالوجيا، وما إليه من هذه الصياغات المتكوِّنة من جزأين، يختص جزأها الأول بطبيعة المبحث وتشترك جميعها في الجزء الثاني وهو logos (logie–). فالنومادولوجيا، بحسب الفيلسوفان، ليست مجرَّد قول في "الترحّل" بل هي مبحث علمي يدرس هذه الحركة في المكان والزمان، وستتحوَّل هذه الحركة في قسم كبير منها إلى "مكنة حرب" فعَّالة تحطّ سياسات وترفع أخرى، فضلًا عن كونها ستكون مكنة إنتاج سياسي وتاريخي واجتماعي. هذا من جانب، أمّا من جانب آخر فإنّ "النومادولوجيا" هي مكنة الحرب المُجرّدة التي ستفعل فعلها في المكان والزمان.

وما يؤكّد هذا التوجّه نحو تأسيس معرفيّ للنومادولوجيا هو كون الفيلسوفَين اعتمدا الصياغة الرياضيّة في عرض هذا المبحث المُستحدث فجاء مقسَّمًا على أربعة بديهيّات (4 axiomes) وتسع قضايا وإشكاليّتيْن (أو مُشكليْن)، مما لا يدع مجالًا للشكّ في أنّهما يعملان بالفعل على إرساء مبحث فلسفيّ مخصوص بمنهج مغاير للمناهج المعروفة يُعنى بالعلاقة النوماديّة بالمكان. فضلًا عن ذلك، يطرح الفيلسوفان النوماديّة باعتبارها جوهرًا أو ماهية تُشكِّل الفضاء تجريديًّا. هذا التوجّه الفكرانيّ هو أعمّ وأشمل من مجرّد Nomadisme والشاهد على ذلك أنّه كان بالإمكان الاكتفاء بـNomadisme محلّ Nomadologie. ولو تم اعتماد Nomadisme لما كان في ترجمتها إلى "ترحّليّة" أي حرج. خاصّة وأن الفيلسوفَين استخدما Nomadisme في متن المسطح مما يظهر أنّه مفهوم داخل مبحث أشمل منه. ولذلك حتى ترجمة nomade باستمرار إلى "مترحّل" هي خطأ في التقدير، ذلك أنَّ الغرض من المبحث ليس الترحال ولا الترحّل، بل طرحَ ضربٍ من التفكير النوماديّ الجديد على الفكر الفلسفي، لا يكون فيه التفكير في الترحّل والترحال والمترحّل بل في الماهية التي تصنع كلّ ذلك. وترجمة "نوماديّ" بـ"مترحّل"، و"نومادولوجيا" بـ"ترحّليّة" لا يعكس سوى عدم قدرة المُترجِم على الخروج عن التفكير التقليديّ. ثمة في المبحث تأسيس نظرانيّ لقول جديد في صيغ النقلة والحركة والحركان يتجاوز مجرّد الاقتصار على ما نعرفه من معنى الترحّليّة والترحال والرحلة. وهذا أمر شديد الوضوح لمن يقرأ النص في لسانه الأصلي، فمرات يتحدّث دلوز وغواتّاري عن وضعيّات أمبيريقيّة حَرَكانيّة لا يصحّ فيها القول بالترحّل أو الترحّليّة. فهذا المسطح شديد التعقيد وشديد التركيب وفيه من الكثافة العمليّة الأمبيريقيّة ما يصيبك بالدُّوار. واختيار "الترحّل" و"الترحّليّة" و"المترحّل" تعبيرًا عن «Nomade» و«nomadique» و«nomadisme» و«nomadologie» فيه الكثير من السطحيّة.

ولا بأس ههنا من التذكير بما ورد في المسطح عدد 7 (والذي سنتناوله إثر هذا العنصر) من الص229 من الأثر الفرنسي من حديث عن «les voyages sur place» "السفرات على عين المكان" (يترجمها العيّادي: "السفر في نفس الموضع" ص310، مع ملاحظة أنّه حوَّلها من الجمع إلى المفرد!). هذا القول يدلّ على ضرب من الماهية النوماديّة التي لا علاقة لها بمعنى الترحّليّة. فمنطق السفر على عين المكان يتناقض مع أي قول بالترحّل. ولاحظ أنَّ هذا المعنى الذي أتى الفيلسوفان على ذكره في هذا الموضع اعتمده أيضًا دلوز منفردًا في كتابه عن السينما، **سينما1/ الصورة ـ الحركة**، في حديثه عن النقلة على عين المكان من الفضاء الفيزيقي إلى الفضاء الروحاني أو الفضاء الذهني.

ومن بين رُدوب الترجمة (les impasses) إلى "مترحّل" مثلًا المفارقة بين "مهاجر" «Migrant» وبين «Nomade». هنا يترجم العيّادي المصطلح الأول بمهاجر والثاني بمترحّل. الرّدبُ ههنا يحدث في القربى الدلاليّة بين معنى "مترحّل" و"مهاجر" في العربيّة عندنا معنى واصطلاحًا، فما المهاجر إلا مترحِّل من مكان إقامة أول إلى مكان إقامة ثانٍ. بينما المعنى المراد هو الاختلاف التام بين Nomadeو Migrant. وعليه، أن نقول "نوماديّ" و"مهاجر" أفضل وأقْـوَم من القول "مترحِّل" و"مُهاجر". وهذا مثال بسيط من بين ردوب كثيرة أغلقت المعنى على العبارة وخنقتها.

يعني تخيّل أنّ الفيلسوف يقول لك إنّني لا أعني بالنوماديّ Le nomade المُهاجر، فتقول له إذًا هو المترحّل!! تصوَّر عزيزي القارئ أنّ دلوز وغواتّاري يمنعان عن النوماديّ حتى صفة النِّـقّيل L'itinérant لكن يأبى المُترجِم إلّا أن يُعاند الفيلسوف ويأخذ النص إلى التغليط عسْفًا.

وههنا نريد الوقوف عند مقطع جدّ مهم، إمّا أنَّ المُترجِم يتلاعب بالمعنى، أو أنّه بالفعل لم يفهم السياق والْتبس عليه القول: يقول دلوز وغواتّاري صراحة من الصفحة 510 من الأثر (*Mille plateaux*):

«Le migrant, nous l'avons vu, est encore autre chose. Et le nomade ne se définit pas d'abord comme itinérant ni comme transhumant, ni comme migrant bien qu'il le soit par voie de conséquence. La détermination primaire du nomade, en effet, c'est qu'il occupe et tient un espace lisse: c'est sous cet aspect qu'il est déterminé comme nomade (essence). Il ne sera pour son compte transhumant, et itinérant, qu'en vertu des exigences imposées

par les espaces lisses. Bref, quels que soient les mélanges de fait entre nomadisme, itinérance et transhumance, le concept primaire n'est pas le même dans les trois cas (espace lisse, matière-flux, rotation). Or c'est seulement à partir du concept distinct qu'on peut juger du mélange, quand il se produit, et de la forme sous laquelle il se produit, et de l'ordre dans lequel il se produit.» p. 510

يقابله في الترجمة المقطع التالي من الصفحة 687: "المهاجر مثلما رأينا ذلك، لا يزال شيئًا آخر. والمترحِّل لا يتحدّد أوّلًا بصفته نِقيلًا ولا بصفته مُنتَجِعًا ولا بصفته مُهاجرًا مع أنّه كذلك بالنتيجة. التحديد الابتدائي للمترحِّل هو بالفعل أنّه يحتلّ ويشغل فضاءً أملس: من هذا الجانب هو مُحدَّد بصفته مترحِّلًا (ماهية). لن يكون في ما يخصّه مُنتجِعًا ونِقيلًا إلا بموجب اقتضاءات فرضتها الفضاءات الملساء. باختصار، أيًّا كانت الاختلاطات بين الترحّل والانتقال والانتجاع فإنّ المفهوم الأوّلي ليس هو ذاته في الحالات الثلاث (فضاء أملس، مادّة-دفق، دوران). لكن انطلاقًا من المفهوم المتميّز، دون سواه، نستطيع الحكم على الاختلاط، على زمن حدوثه، على الصورة التي يحدث وفقها، وعلى الترتيب الذي يحدث فيه".

التعليق:

• **تصويب 1**: La détermination primaire تُترجم "تحديد أوّلي" وليس "ابتدائيًّا" كما ورد. والمُترجِم ذاته كتب في الجملة الموالية "مفهوم أوّلي" ترجمةً لـconcept primaire فلمَ اعتمد "ابتدائي" للأولى؟

• **تصويب 2**: "مع أنّه كذلك بالنتيجة" ينبغي الانتباه إلى أنّ النتيجة ههنا أثر وليست ضرورة حتميّة. بدليل أنّ النوماديّ (ولا أقول المترحّل) سيصبح في الجملة الموالية وفي "تحديد أوّليّ" ماهية أو جوهرًا essence ← ولعلّك أدركت عزيزي القارئ لماذا قلنا "ابتدائي" لا يستقيم، فالماهية (أو الجوهر) لا تكون ابتدائيّة بل أوّليّة، فعبارة "الابتدائي" تترك مجالًا للتحوُّل والتغيُّر.

تعليق: إنّ استدعاء الماهية (أو الجوهر) كتوصيفٍ مجرَّد لـ Le Nomade، ثم اعتبار كل عمليّات النقلة آثارًا مترتّبة عن هذا الجوهر [النوماديّ] وأنّ هذه العمليّات لا تكون كذلك "إلا بموجب اقتضاءات فرضتها الفضاءات الملساء" (ثمة شرط)، وأنّ مفهوم Nomade ليس هو ذاته في مختلف حالات النُّقلة، يعني أنّ المفهوم ههنا يُقرأ كما لو كان هيولى قبْليّة أو مُحايثة. وعليه، يكون الحكم بأنّ النوماديّ مترحّل أو نقّيل أو منتجِع أو مهاجر أو أي حالة من حالات النقلة والارتحال، حكمًا بعديًّا لا يمسّ بأي شكل جوهر الماهية النوماديّة في تجريديّتها. ثمّ إنّ الفيلسوفَيْن يعملان على إنتاج فهمٍ تجريديّ للحركة في المكان من خلال إدماج منطق الحركان في مكنيّة مجرّدة ومن ذلك اعتمادهما التنضيدات النوماديّة Les agencements nomades والفيلوم المكنيّ وعلاقته بالإنتاج النوماديّ والأدفاق النوماديّة Les flux nomades (وهذا المفهوم نجده حتى في كتاب فِلِكس غواتّاري **اللاوعي المكني** ممّا يزيدنا تأكيدًا على أنّ النوماديّة ليست الترحّليّة بالمرّة). صحيح أنّه ثمة حديث عن الترحّليّة بالمنطق المادّي في مواضع مختلفة، خاصّة ما يتعلّق بوضعيّات تاريخيّة وحربيّة، ولكن ثمّة تجريد خطير لمنطق الحركان النوماديّ والسرعان والتدفّقات وإنتاجات "مكنة الحرب" وما إليه من عمليّات التجريد للجوهر النوماديّ وتشكليه التحتانيّ والهيولانيّ للحركة في المكان. وبالتالي يجب أن يُميِّز المُترجِم جيِّدًا أين يكون الترحّل وتكون النقلة، وأين تكون النوماديّة والنوماديّ. ولا ينبغي جرّ كل المواضع إلى "الترحّليّة". ثمّة تجريد فكرانيّ و"تأسيس إبيستيمولوجي" وجب احترامه.

نأخذ مثالًا آخر: عندما يتحدَّث الفيلسوفان مثلًا على لسان هوسرل عن "ماهيّات مورفولوجيّة متشرّدة أو نوماديّة" ص454 من الأثر، نجد العيّادي يقول "ماهيّات مورفولوجيّة متشرّدة أو مترحّلة" ص612 يعني كيف بماهيات مورفولوجيّة مترحّلة؟! ليس المعنى المقصود رحلة ولا ترحالًا ولا ارتحالًا ماديًّا، بل حركة جوهرانيّة افتراضيّة ومُجرّدة. خاصة وأنّ دلوز وغواتّاري سبق أن أشارا إلى أنّ Le nomade est un essence.

مثال آخر: حين يقول الفيلسوفان: «science nomade» و«espace nomade» فيترجمها العيّادي "علم مترحّل" و"فضاء مترحّل"!!!! ثمة تناقض غريب ولا يصيب المراد من النوماديّة، فالأصل أن نكتب: "علمٌ نوماديّ" و"فضاء نوماديٌّ" لأنّ الغاية من هذا العلم ومن هذا الفضاء عند دلوز وغواتّاري هي تحقيق مساحة افتراضيّة للنقلة والحركة والحرَكان، مساحة مُهَيَّأة للسرعة وخطوط الحركة، وعلم يستقرئها. ولذلك سيتحدِّثان في سياق هذا العلم عن كيفيّة تفهّم السرعان النِّقّيل وإنتاج ضرب من الهندسة النوماديّة. ومع هكذا تصوُّر تجريديّ غاية في الأمبيريقا الميتافيزيقيّة لا يستقيم بأي شكل من الأشكال قول بالترحّليّة، فلا ننسى أنّ القول بالترحّليّة والترحّل لا يعني سوى القطع مع المكان على جهة المُغادَرة، والنقلة تكون دائمًا في اتّجاه واحد، ذهابًا أو إيابًا.

مثال آخر: عندما يتحدّث الفيلسوفان عن أجساد العَملة والنجّارين والبنّائين والحدّادين... إلخ، من كونها des corps nomades (انظر الكتاب الأصل ص456) يترجمها العيّادي بـ"الأجسام المترحّلة" (الترجمة ص614) وهذا ضرب من

الغلط البيِّن، إذ من أين أتاها الترحال؟ إن هي إلا "أجساد نوماديّة" غير مترحِّلة. والنومادولوجيا الدُّلوغواتّريانيّة تدرس من بين ما تدرسه الحركة في المكان في غير علاقة بالترحال ولا الارتحال بوصفهما وضعيّة مُغادرة أو هجرة. وربطًا بما سبق ذكره، فإنّ المسألة تتعلّق بماهيّة نوماديّة مجرّدة أو جوهر نومادي مجرّد. وللتشديد على كُنْهيَّةِ النوماديّة باعتبارها كُنْهًا حركانيًّا، فانظر مثلًا إلى خاتمة الكتاب حيث تحدَّث الفيلسوفان بوضوح عن les essences nomades مما يدلّ على أنّ النوماديّة ماهية والنوماديّون ماهيات وليسوا رحَّالة، وإنّ حركتهم ونقلتهم مهما كان شكلها فإنّها تبقى لحظة أمبيريقيّة لماهية نوماديّة.

إنّه في حال كهذه من مدار ابتكار واستحداث مفهوميّ يكون الأنسب في الترجمة الالتزام بالتعريب الحرفيّ للعبارة، وذلك التزامًا بالغرض من ابتكار المبحث والمحافظة على حَـرْفيّة الاستحداث العلميّ. ولذلك كان الأنسب هو الترجمة إلى "نومادولوجيا" ومن ثمّ "نومادي" و"نوماديّة" مع استعمال معجم الترحال في ما يتلاءم معه من مواضعه المخصوصة وحسب. وليس في الأمر ما يعيب، فبالعودة إلى أرباب الترجمة في ثقافتنا العربيّة نجد الكثير من المصطلحات والملفوظات بقيت على حالها، إذ اكتفى المترجمون بتعريبها دون ترجمتها على الرغم من ثراء اللسان العربي. فنرى مثلًا "الهيولى"، "الموسيقون" (أي الموسيقار بلغة اليوم) "الأنالوطيقا"، "إيساغوجي"، "الأسطقس"، "الأنطلاخيا" (تُقال كذلك "الأنطلاشيا")، و"الأشكيم"، "الأريثميطيقا"، "الميتافيزيقا"، "خرونوس"، "طوبيقا" وغيرها الكثير ممّا لم يقع تغييره بمرادف من لساننا خوفًا من ألّا يكون مُطابقًا بالتمام للمفهوم أو المصطلح في لغته. ويحدث هذا من باب الحرص على سلامة النقل من لغة إلى لغة. لاحظ كذلك ترجمات إسحاق بن حنيْن لأرسطوطاليس، كيف ورد فيها الكثير من الكلمات التي نُقِلت تعريبًا وحسب. ففي مواضع الابتكار يكون الأحرى بالمُترجِم المحافظة على العبارة تعريبًا على أن يجتهد في ترجمة قد تنحرفُ بها أو تضعفها. فكل ما اشتغل عليه الفيلسوفان، في هذا المسطح، مُغاير في مجمله عن معنى الرحلة والترحال والترحّل في صيغتها الماديّة المعروفة. وللسان العربي فوق ثرائهِ مخارجهُ في هكذا مآزق. فلماذا نُضيِّق على مبحث عميق ومستحدث كالنومادولوجيا ونُضعِفه ونحصره في دلالات ضيِّقة للترحّليّة والترحال؟ وما دام لساننا العربي قد استقبل مباحث أو مفاهيم بأسمائها كما هي، على غرار "الفنومينولوجيا" و"الاستطيقا" و"الإبستيمولوجيا" و"السوسيولوجيا" و"السيكولوجيا" و"الأنطولوجيا"... إلخ، فلمَ لا يستقبل "النومادولوجيا"؟

ملاحظة: إنّ اقتراحنا رسم "نومادولوجيا" ليس اقتراح ترفٍ فكرانيّ ولا يأتي من باب التنويع، بل نقدّمه (للبرهان المقدَّم أعلاه) على اعتبار أنّنا نراه التعريب الأكثر مواءمة للمفهوم في سياقه، في انتظار رؤية أخرى لتعريب المفهوم وشبكته الاصطلاحيّة، قد تكون أنسب ممّا ذهبنا إليه.|

المعنى الضمنيّ: تبدو "الترحّليّة" في هذا المستوى، وفي سياق هذا المصنّف، ضربًا من العسف على المفهوم قد نفهمه في علاقة بمحاولة غير مُعلنة من الأستاذ المُترجِم لأخذه ناحية ما يشتغل عليه في ما سمّاه بـ"الفلسفة الترحّليّة" أو "الفلسفة المترحّلة" أو "الفلسفة النِّـقّيلة" (وكلّها مسميّات يعتمدُها). وإذ يُشكر الأستاذ العيّادي على ما قدّمه في هذا الجانب من التفلسف باللسانيْن الفرنسي والعربيّ، فهو كذلك يُلام على هذا الإسقاط، الذي يبدو مُتَعَـمَّدًا، على **ألف مسطح**. فـ Nomadologie كما هي معروضة في الطرح الدُّلوغواتّريانيّ من (M.P) بمختلف تفاصيلها وشِدَدِها النظريّة والأمبيريقيّة لا تكون منها "ترحّليّة" العيّادي فكرًا فلسفيًّا إلّا ما يكونه النزر من الكثير. وفي إجبار النص على قول "الترحّليّة" في ما النصّ يتأبّى ذلك معنى ومبنى، عسْفٌ غير بريء. إلّا إذا كان صاحب الترجمة لم يفهم النص الذي بين يديه، وهذا مُحال.

4.4 الإخفاق في ترجمة Visagéité ومأزق الترجمة:

من المعلوم أنّ Visagéité هي عنوان مسطح بحياله (المسطح عدد7) ومفهومٌ إجرائيٌّ في فلسفة غواتّاري ومن ثم دلوز. وهي من المفاهيم الرئيسة في **ألف مسطح**. يترجم العيّادي Visagéité بالوجهيّة!! و visage بالوجه. وهي حقيقةً ترجمة خاطئة بإطلاق في هذا السياق الدُّلوغواتّريانيّ. وقد تتعجّب عزيزنا القارئ من هذا الإقرار، ولكن خصوصيّة الطرح تفرضه. ففضلًا عن كون هذه الترجمة لـ visage.s و Visagéité تعتبر تعريبًا سطحيًّا حرفيًّا لا جهد فيه، فهي كذلك مُناقِضة تمامًا لفحوى القول ممّا جاء عن الفيلسوفيْن. وأوّل الحجة على كونها ترجمةً خاطئةً منذ البدء هو أنّه من غير الممكن اعتماد "الوجه" مع "جسد بلا أعضاء" (Corps sans organes). فالوجه من العضويّ ولا تأويل فيه وهو ما أقبل من الرأس. والفيلسوفان واضحان في هذا التوجُّه منذ الصفحات الأولى من المسطح أين كتبا:

- «Les visages ne sont pas d'abord individuels, ils définissent des zones de fréquence ou de probabilité, délimitent un champ qui neutralise d'avance les expressions et connexions rebelles aux significations conformes.» (M.P p. 206).

- «Le visage fait partie d'un système surface-trous, surface trouée. Mais ce système ne doit surtout pas être confondu avec le système volume

-cavité, propre au corps (proprioceptif). La tête est comprise dans le corps, mais pas le visage. Le visage est une surface: traits, lignes, rides du visage, visage long, carré, triangulaire, le visage est une carte, même s'il s'applique et s'enroule sur un volume, même s'il entoure et borde des cavités qui n'existent plus que comme trous. Même humaine, la tête n'est pas forcément un visage. Le visage ne se produit que lorsque la tête cesse de faire partie du corps, lorsqu'elle cesse d'être codée par le corps, lorsqu'elle cesse elle-même d'avoir un code corporel polyvoque multidimensionnel lorsque le corps, tête comprise, se trouve décodé et doit être surcodé par quelque chose qu'on appellera Visage.» (M.P. p. 208).

هذا المقطع الأخير وُضع منذ الصفحة الرابعة من المسطح للتوضيح أنّ visage.s ما سيصطلح على ترجمته العيّادي "وجه"/ "وجوه"، لا علاقة له بالرأس المادي ولا بصورة الرأس في المخيّلة. هذا المقطع وأنت تقرأه في الترجمة ترى بوضوح كميّة التناقض المُنفِّر بين المكتوب والمعنى المرجوّ من النصّ الأصلي. وتقريبًا هذا المسطح من أكثر المساطح المتضرّرة من سوء التقدير التُّرجمانيّ، ذلك أنّه لا تخلو فقرة من visage ومن تصاريفها: visagéité و visagéification و visagéifié.s. يقول الفيلسوفان مثلًا:

«le visage dépend d'une machine abstraite»

ص209 يترجمها العيّادي "لأنّ الوجه متوقّف على مكنة مُجرّدة فإنّه لن يكتفي بتغطية الرأس، بل سيطال أجزاء الجسد الأخرى، وحتّى عند الحاجة سيطال مواضيع أخرى دون مُشابهة" ص284، ترى عزيزنا القارئ مستوى التناقض في القول من الترجمة.

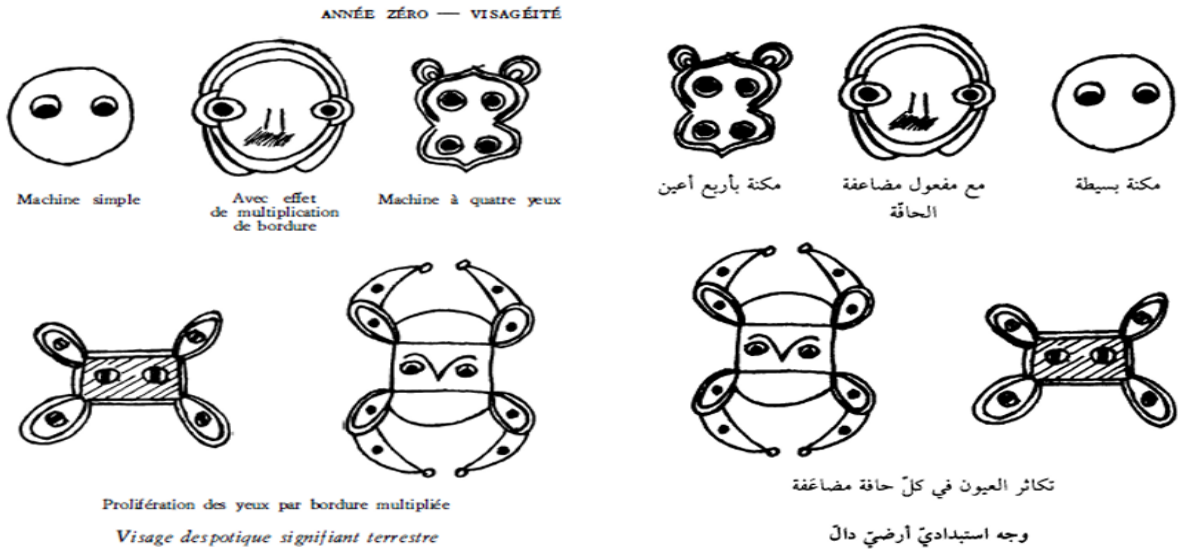
مشكلة المُترجِم أنّه اعتمد الوجه، والوجه لا يكون إلّا من الرأس ولا يُعبِّر إلا عن الرأس والجسد المادّي، بل إنّ الوجه لا يكون إلا ماديًّا ملموسًا. في المقابل تستطيع "السحنة" و"السّحنائيّة" أن تلعب الدور اللسانيّ بأبعاده السيميائيّة كلّها بشكل جد مناسب. وإنّنا إذ نتحدّث عن "السحنة" و"السحنائيّة" بثقة في قدرتها على الأخذ بزمام الترجمة للمفهوم في كل تصاريفه فذلك لأنّنا قد خبرناها بالفعل في كتابنا **تأمّلات فُصاميّة على منوال غواتّرياني** الصادر عن دار النهضة العربيّة 2025. ونعجب حقيقةً من المُترجِم الذي يملك اقتدارًا لغويًّا معروفًا، كيف به يسقط في زلل ترجمانيّ بيِّن كهذا.

مشكلة المُترجِم الرئيسة هي ذاتها تتكرّر. فعدم اطلاعه على تاريخ هذا المفهوم أي «Visagéité» الذي يعتمده فِلكس غواتّاري في جلّ كتاباته التي نذكر من بين أهمّها *L'inconscient machinique*، جعله يسقط في هذا التناقض المُنفِّر الذي انقلبت إليه الترجمة. فحتى جيل دلوز اعتمد مفهوم La Visagéité من بعد تعرّفه عليه مع غواتّاري وظهر اعتماده للمفهوم خاصة في مصنّفيْه في السينما (**سينما 1 وسينما 2**). ونقترح تصويبًا لـ"وجهيّة" و"وجه"، اللفظين: "سحنائيّة" و"سحنة" (تُقال بكسر السِّين أو بالرفع) وسنُقدِّمُ بُرهاننا في ذلك. ففي المعاجم يجتمعُ القول في "السحنة" إنّها هيئة المرء من وجه وحال ولون وغيره من دلائل الفراسة، والسحنة ديباجة المرء. ومنها أن نقول "عرفته من سحنائه أو عرفته من سحنته" أنّه من العجم أو أنّه من بني فلان أو من جهة كذا أو من جماعة كذا أو من قارّة كذا. وجاء في "السّحنة" التعبير عن الحال، فتقوم مُعَـرِّفًا بحال المرء إن كان في نعمة أو في كدر. وفي تنويعات تصاريف القول في "السّحنة" ما يخصُّ المُعاملات، فيُقال كما جاء في **اللسان**[17]: "تَسَحَّنَ المالَ وساحَنه: نظر إلى سَحْنائه. وتسحَّنْتُ المالَ فرأَيت سَحْناءَه حسَنة. والمُساحَنة: المُلاقاة. وساحَنه الشيءَ مُساحَنةً: خالطه فيه وفاوَضَه. وساحَنْتُـك خالطتك وفاوضْتُك. والمُساحنة: حسن المعاشرة والمخالطة". وجاء عند الفراء قول بـ"السَّحَنَاءِ" (بالتحريك) ممّا يوسِّع القول في تصاريف "السّحنة" إلى الحَرَكان الحيْثانيّ.

أمّا في قسط آخر من برهاننا في عدم مواءمة "وجهيّة" ترجمةً لـ Visagéité و"وجهٌ" ترجمةً لـ Visage، فنقول إنَّ السياقات جميعًا ليست سياقاتٍ عضويّة، فهي وضعيّات تدوير مجازيّ وتأويليّ واستقرائيّ الهدف منها تشكيل رؤية جديدة عن "السّحنة" تكون من خلالها "الملامح" مكنيّة نافذة، و"السحنة" سبيلًا للتجريد وللتأمّل في واقع سيكولوجي، أنطولوجي، وأنثروبولوجي، والأهم فهمًا فلسفيًّا جديدًا ومُغايرًا لـ visage.s و Visagéité. ومن ذلك ما جاء عند الفيلسوفَان من قول في "مكنة مجرّدة للسحنائيّة"، ويقول العيّادي "مكنة مجرّدة للوجهيّة"! وقول كهذا لا يستقيم بأي حال مع الوجهيّة من جهة أنّ التجريديّة المكنيّة لا تكون مع "الوجه"ـ العضو. ثم إنّ هذا المسطح جاء مُعَـنْـوَنًا بـ"**سنة صفر. سحنائيّة**" «Année zéro. Visagéité» بمعنى أنَّ المسألة كلها لا تتعلق بجسد مادّي لا سنة صفريّة له، فالوضعيّة الفكرانيّة ههنا الحاكم فيها "جسد بلا أعضاء" CsO. وهذا "الجسد بلا أعضاء" تصحّ معه "سنة صفر" كما كانت قد صحّت معه "الدرجة الصفر". وكأنَّ الفيلسوفَين، منذ العنوان، يضعان القارئ في الإطار المُناسب والمُراد للتفكير حتى لا تلتبس عليه المعاني التي سيلقاها وسيتلقّاها على امتداد المسطح. فضلًا عن كون المسطح جاء بالتدريج بعد مسطحَيْن مؤسِّسيْن لتفكير السحنائيّة هذا، وهما: الخامس، وعنوانه «Sur quelques régimes de signes» والسادس، وعنوانه «Comment se faire un corps sans organes?». مما يدلُّ على أنَّ المسألة برمّتها تتعلّق بالتجريد وبالأمبيريقا السيميائيّة وعلاقاتها بأنطولوجيا فُصاميّة وبتحليل فُصامي وتفكير جذموري.

مأزق الترجمة

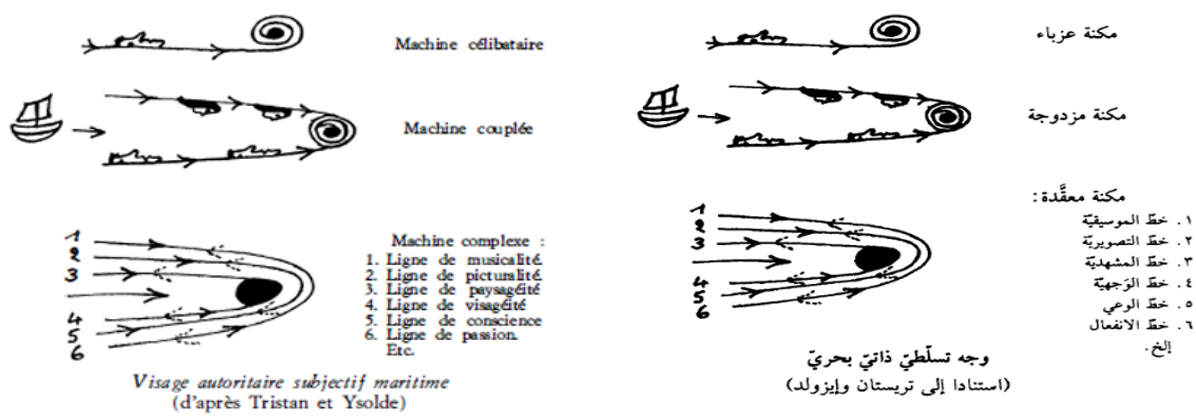
ستتحوَّل ترجمة "وجه" و"وجهيّة" إلى ردب يقف بالترجمة في مأزق التناقض حيث لن تستطيع الترجمة بـ"الوجه" و"الوجهيّة" التعبير عن جميع تصريفات القول من visage و visagéité اللذيْن سيكون منهما visagéification وهي عملية إنتاج سيمولوجي تبلغ درجة تكون فيها العينان مثلاً ثقبان أسودان في بعض السياقات، أو يكون فيه le visage مكنة تعبير كما هو مبيَّن في الرسم التالي من الصفحة 225 من الأثر الفرنسي:



اخترنا هذا المثال المُصوَّر لتوضيح الفرق بين ما يتقدَّم في الأثر وبين ما يتقدّم في الترجمة. فالوجه ههنا ـ كما يُخيِّر العيّادي ترجمة visage ـ ليس وجهًا ولا العيون عيونًا بالمعنى الماديّ، والدليل أنّ هذه الأشكال هي تَصَوُّرات لمكناتٍ سحنائيّة دالّة. لذلك لا يستقيم معها قول بـ"وجه استبداديّ أرضيّ دالّ"، فالأجدى "سحنة استبداديّة أرضيّة دالّة". لأنّ السحنة تعبير ووظيفة وليست عضوًا.

ويترجم العيّادي visagéification بـ"الوَجْهنة" وهي ترجمة قاصرة تقف في حدود العضويّ المباشر، فتدلّ على لحظة إنتاج الوجه!! وقد تدلّ القارئ على إنتاج "الوجاهة"!! مما يُخرج النص عن سياقه بالمرّة. فالقصد من visagéification هو عمليّة إنتاج سحنائيّ مجرّد أو افتراضي، أو تهيئة سحنائيّة مجرّدة أو افتراضيّة. وعليه نرى أنّ "السَّحْنَأَة" أو "التَّسَحْنُؤ" أَقْـوَمُ من "الوَجْهنة". وإذا ما قارنَّا بين الترجمة والنص الفرنسي سنجدُ الترجمة تتعسَّف شديدًا على المعاني حدّ التناقض، فترى العبارة تجاوزت الإلغاز إلى التناقض ممّا ينزع الاتّساق الفكرانيّ عن السياق بأكمله. فينجرّ عن ذلك نزع الاتّساقيّة عن المساطح الثلاثة المتتالية.

انظر كذلك الرسم التوضيحي الذي يظهر فيه Le visage ضربًا من الخطية في مكنةٍ مُعقّدة لتشكيل ضرب من الـvisagéité (الصفحة 226 من الأثر الفرنسي):



وهذا المثال يؤكّد من جديد مأزق الترجمة وانسداد الأفق الفكرانيّ في "وجه" و"وجهيّة". إذ أين الوجه من المثال؟!!! **كلها خطوط مُساحَنةٍ أو خطوطُ سَحَنَاءٍ أو خطوطٌ سَحَناءُ** إذا أخذنا بعبارة الفراء. وإنّها لعمري عبارة مائزة وشديدة التحايث مع هذا المفهوم في سياقه.

ملاحظة: تتكرَّر مشكلة العيّادي في معاندة الفيلسوف في مُراده من العناوين النكرة وإجبارها على أن ترد مُعرَّفة، فوجدناه مُترجمًا العنوان «Année zéro. Visagéité» بـ"السنة صفر. وجهيّة" وهذا خطأ غير مبرَّر، فالفيلسوفان إذا أراداها معرَّفة ما كان شيء ليمنعهما، ولكن الطرح في جدّته وطرافته وخصوصيّته التي يتقدَّم بها لا يقبل تحديدًا ولا تعريفًا. كان من الواجب ترجمة العنوان كما هو: "سنة صفر. وجهيّة[سحنائيّة]".

5.4 في الخلط بين Fuite وFuir و Décodage!!

بادئ ذي بدء، ينبغي التشديد على أنّ «Fuite»، ومنها «Ligne.s de fuite»، هو مفهوم رئيس عند فلكس غواتّاري تحوَّل إلى مصطلح تقني إجرائي في كامل فلسفته، وقد انتقل إلى فلسفة جيل دلوز منذ اعتمداه في نصوصهما الثلاثة المُشتركة. وهذا المفهوم وعبارته الإجرائية «Ligne.s de fuite» نجدهما بشكل مكثَّف في المصنَّف **رأسماليّة وفُصام** بجزأيه، وفي مواضع مختلفة من **ما الفلسفة؟** وترجمة مفهوم كهذا ينبغي أن تعكس فهمًا حقيقيًّا للمفهوم عند صاحبه أوّلًا، ولدواعي اعتماده ولتقنية العمل به في مختلف السياقات. كما فهم الغاية من اعتماده في مختلف السياقات من الكتب التي تمّت ترجمتها. وهذا المفهوم هو من المفاهيم الجدّ مهمة عند غواتّاري حيث تحوَّل إلى مصطلح إجرائي مُحايث لكل الإنتاجات ولكل الإبطالات ولكل التغييرات. والدليل على أهميّة هذا المفهوم، عند صاحبه، أنّه قام باستقرائه وتفصيل القول فيه في كتاب كامل بعنوان *Lignes de fuite*. صحيح أنَّ هذا الكتاب هو في واقع الأمر مخطوط نُشِر بعد وفاة فلكس غواتّاري، ولكن أصحاب الفيلسوف أرادوا نشره من بعده لأهميّته في تفكيك معاني ودلالات استراتيجيا هذه الخطوط وطريقة عملها وكيفيّة تأثيرها. وعليه، تتطلّب ترجمة هكذا مفهوم محوريّ العودة إلى فلسفة غواتّاري وفهم ميكانيزم اشتغال هذه الخطوط عند صاحبها حتّى يُدرك المُترجِم كيف تمَّ توظيفها في الكتب الثلاثة، وهذا ما يبدو أنّه قد غاب تمامًا عند عبدالعزيز العيّادي. ولذلك نجده يُترجِم Fuite إلى "إفلات" أو "هروب"، و «*Ligne.s de fuite*» إلى "خط/ خطوط إفلات/ هروب". والأصل في Fuite الانفلات والتفلّت والفَلْتُ. ذلك أنّ غواتّاري لا يعتمد المفهوم على معنى الهروب والإفلات، بل على معنى المراوغة والتفلّت والانفلات والفَـلْتِ والتزيُّغ. وهو مفهوم شديد المرونة يتناسب مع "الفضاء الأملس" L'espace lisse الذي يعتمده الفيلسوفان في **رأسماليّة وفُصام** 2 بوجه خاص. ولذلك يعتمدان التفريق بين fuite و fuir حتى ينتبه القارئ إلى مواضع الإفلات والاستهراب، وتمييزها عن مواضع الانفلات والفلْت والتفلّت. والحق نقول إنّ الفرق بينهما يُربك أحيانًا ولذلك تكون مهمة المُترجِم في هذا المضمار شديدة الدقّة وعالية المسؤولية. لأنّ أي خلط بين الاستعمالَيْن سيذهب بالسياق.

نلاحظ أنَّ إعمال المصطلح ـ المفهوم «Ligne.s de fuite» يكون دائمًا بغاية إبطال وضعيّة تجانسية مّا وكسر اتّساقها الظاهري بغرض تعرية الشقوق الداخلانيّة المُؤَسِّسة. ولو كان الفيلسوفان يريدان "إفلاتًا" و"استهرابًا" فقط، كما ذهب العيّادي إلى ذلك، لكانا اكتفيا بـ fuir ولما كان من داعٍ لأن يعتمدا اللفظيْن معًا أي fuite و fuir. وإنّ الاشتغالَ في الغالب بـ ligne.s de fuite يُشدِّد على معاني الانفلات والتزيّغ والتفلّت والفلت. و fuir يعني إفلات وهروب واستهراب. فـ fuite في اشتغال الفيلسوفين هي صفة حركة إبطال بعينها، حركة تُعرقِـل التجانس الظاهر، وصيغة لفظية لمرونة جذموريّة نِقّيلة. أما صبغ Fuite بصيغة الهروب فهو خروج بيِّن عن المعنى والمغزى للفيلسوفَيْن. فالهروب الذي تستقرُّ عليه ترجمة العيّادي في الكتب الثلاثة هو انحراف عن مراد الفيلسوفَيْن في اشتغالهما، ذلك أنّ "الهروب" و"الإفلات" تعبير عن المغادرة والترك والنقلة من نقطة إلى نقطة أخرى، بينما الطرح برمّته يعمل على الفعل في الأين والحيث من تثقيب وإبطال وحركان تحتانيّ نتّاج وتكسير تجانسات وما إليه من عمليّات التفكيك وإعادة الإنتاج. هذه العمليّات لا يستقيم معها قول مستمرّ بالهروب والإفلات.

والأمر الغريب الآخر أنَّ العيّادي يُترجم fuite و fuir و décodage ثلاثتها بالإفلات!! في مواضع كثيرة. وقد ذهب في تصوُّرنا للوهلة الأولى أنّه مجرَّد خطأ تركيز، لكن باستتباع المواضع من الترجمة وجدنا حضرة المُترجِم يأخذها جميعًا على نفس المعنى ويحملها جميعًا على نفس التعريب! على الرغم من أنّ لكل منها استعمالًا خاصًا. وحتى السياقات نفسها تمنع المُترجِم من حمل الثلاثة على ذات المعنى. فانفلات/ فلْت fuite وإفلات fuir وإبطال التشفير/ أو إبطال التقنين décodage لكل منها استعماله (وحتى نكون على تمام الشفافيّة فإنّ المُترجِم قد أصاب ترجمة الأخيرة أي "إبطال التشفير/ أو التقنين" في كثير من المواضع بالمقارنة مع مواضع ترجمتها إلى

"الإفلات". لكن ارتباك المُترجِم في ترجمة مفهوم واضح وفي سياقات لا تقبل التأويل مثل مفهوم «Décodage» هو أمر مُثير للريب، وسنعلّق عليه في العنصر التالي).

إذًا La fuite و la/les ligne.s de fuite هي تعبيرات عن حركان إبطال أرضنة وإبطال تشفير، كما هي تعبيرات عن الانفلات من الأرضنة ومن التشفير. ومعنى الـ La fuite هو دائمًا في علاقة بإرباك التجانس وبإبطال الأرضنة وإبطال التشفير/ التقنين، كما بحَركان التثقيب وبفكرة "الثقب الأسود" المجرَّد والحركان المنفلت في الفضاء الأملس. لاحظ أنَّ الفيلسوفَين كثيرًا ما يستدعيان "خط/ خطوط الانفلات" أو "خط/ خطوط الفلْت" هذه في العمليات المختلفة من إبطال الأرضنة déterritorialisation، كما في عمليات بعينها من إبطال التشفير/ إبطال التقنين décodage. ولو كانت الغاية منها هي "الإفلات" أو "الهروب" كما يرى الأستاذ المُترجِم لكان الأمر مختلفًا تمامًا من حيث تصبح المسألة مجرَّد هروب من وضعيّة ـ مع تركها على حالها ـ في اتّجاه وضعيّة جديدة. وبالمنطق الذي يفهمه المُترجِم نكون قد خرجنا بالتمام عن منطق الجذمورية والتنافر والتثقيب والإبطال الذي ينتهجه الفيلسوفان.

وفي الخلط بين fuite، و fuir (على معنى إفلات) و décodage نأخذ هذا المثال من **أوديب ـ مُضادًّا**:

«La fonction de la chaîne n'est plus de coder les flux sur un corps plein de la terre, du despote ou du capital, mais au contraire de les décoder sur le corps plein sans organes. C'est une chaîne **de fuite**, et non plus de code. La chaîne signifiante est devenue **une chaîne de décodage**.» p. 395-396

يقابلها في الص461 من الترجمة: "لم تعد مهمّة السلسلة هي تقنين الاندفاقات على جسدٍ مليء هو جسد الأرض أو المستبدّ أو رأس المال، وإنّما على العكس من ذلك هي إفلاتها على الجسد المليء دون أعضاء. إنها سلسلة إفلات ولم تعد سلسلة تقنين. السلسلة الدالة أصبحت سلسلة إفلات التقنين". يعني كلها على معنى إفلات!!! أمّا في مسألة ترجمة المفهوم إلى إفلات/ هروب فلْنَنظر إلى هذه الأمثلة:

ـ مثال من ألف مسطح: «les lignes de fuite connectent et continuent leurs intensités» p. 273 وفي الترجمة ص372 "تربط خطوط الإفلات بين شِدَدِها وتجعلها تتواصل". أمّا كيف لخطوط "الإفلات" أن تربط بين الشَّـدَدِ وتجعلها تتواصل؟ فهذا سؤال التناقض. أليس الأحرى أن تكون خطوط انفلات وتفلّت؟ فأيّها الأقدر على التجذمر يا تُرى: التفلّت والانفلات أم الإفلات والهروب؟ إذ لا ننسى أنَّ المنطق الحاكم هو منطق جذموري.

ـ مثال في الخلط بين fuite و fuir من ألف مسطح: «nous fuyons devant la fuite» p. 277 (M.P) يترجمها العيّادي في الص378 بـ"نهرب من الهروب"! أولًا، منذ متى كانت «devant» تعني "من"؟!!! ثم أليس الأصح أن نقول: "نهرب أمام الانفلات" أو "نُدبِرُ قُبالة الفَـلْت". والواقع أنَّ الجملة التي سبقت هذه، تحمل ذات الخطأ، ففيها يترجم: "... إنهم لا يعرفون شيئًا عن الانكسار الهائل الذي هم متّجهون إليه... **هروب من الهروب**" والجملة في الأصل الفرنسي كالتالي: «Ils ne savent rien de cette immense déroute où ils s'en vont… *fuite devant la fuite*».

(نفس الملاحظة بشأن devant التي تحوَّلت إلى "من")، ههنا السياق لا يستقيم معه قول بالهروب من جهة إنّه ثمة "توجّه غير واعٍ إلى الانكسار". فالأَوْلى أن نقول "انفلات قُبالة الانفلات" أو "انفلات أمام الفلْت". فكيف بعد القول: "إنهم لا يعرفون شيئًا عن الانكسار الهائل الذي هم متوجِّهون إليه" يقول بالهروب؟!!

عمومًا لا يسعنا تقديم أمثلة كثيرة من المصنّفات الثلاثة، ذلك أنّ المفهوم «fuite» متوزِّع بشكل مكثّف ولا يكاد يغيب عن موضع. مهمّتنا تقف عند تنبيه القارئ بالخطأ في تقدير معنى «fuite» والخلط بينها وبين «fuir» وحتى بينهما وبين «décodage» في بعض المواضع.

6.4 Décodage والترجمة بيد مُرتعشة:

إنّ ما لاحظناه في ترجمة الأستاذ العيّادي لـ«Décodage» يعكس كثيرًا من الارتباك، إذ لم يُترجِم المصطلح إلى لفظ واحد استقرّ عليه طيلة أطوار الترجمة، بل وجدناه يترجمه في كل مرة بلفظ. فمرة يكتب "إبطال التقنين" ومرّة "تفكيك التقنين" ومرّة "استشفار" ومرّة "إلغاء التقنين"، وفي كثير من المرّات "إفلات" و"انفلات"! والمُلفت في الأمر حقيقةً أنَّ هذا المصطلح الإجرائي الكثير الاستعمال عند دلوز وغواتّاري ليس حمَّال أوجه ولا يغلب عليه المجاز ولا يُؤخذ على جهة التأويل. فهو مصطلح تقني بامتياز، الغاية من اعتماده واضحة ولا تتغيَّر بتغيُّر السياق ولا بتغيُّر مستوى التحليل، فهو في كل السياقات "إبطال التشفير" أو باللغة المعروضة في الترجمة "إبطال التقنين" (إذ لا يعتمد مُترجِمنا في الغالب عبارة "التشفير" مقابلًا لـ codage). ولذلك من غير الممكن أن نحمل هذه الترجمة المُرتبكة على محمل التنويع في ترجمة اللفظ الواحد خاصّة وأنّ حضرة المُترجِم كان قد استقرَّ على معنى "الإفلات" في عديد السياقات وهو معنى لا علاقة له بـ Décodage.

إنّ عدم ثبات المُترجِم على ترجمة واحدة لمفهوم واحد

لا يدلّ سوى على الارتباك في ترجمة المفهوم. وهذا الارتباك يعكس ارتعاش يد المُترجِم. وقد لا يُستغرب هذا الارتعاش ما دام العيّادي يُترجِم نصًا غريبًا عن دائرة الفهم والإدراك عنده من حيث لم يقرأ للفيلسوف الذي يُترجمه.

ومن أمثلة هذا الارتباك في ترجمة Décodage أنّه:

ـ يُترجِم «des flux décodés sur le corps sans organes» (A.Œ) p. 43 بـ "التدفّقات مُفكّكة التقنين" ص58 من الترجمة و«le décodage des flux» بـ"انفلات التدفقات" و«flux décodés» بـ"تدفّقات فُكَّ تقنينها" ويترجم «vers un seuil de décodage» بـ"نحو عتبة فك التقنين" (كلها من الصفحة نفسها).

ـ يُترجِم «un décodage génique» (A.Œ) p. 396 بـ"انفلات جيني"، ومن نفس الصفحة ونفس الجملة «fonctions de décodages» تُترجم بـ"وظائف الاستشفار"، ومن نفس الصفحة أيضًا يترجِم «une chaîne de décodage» (A.Œ) p. 396 بـ "سلسلة إفلات التقنينات".

ـ وفي فهرس نفس الكتاب مثلًا يُترجم المصطلح بـ"تقنين الاندفاقات" تارة (انظر: الفصل الثالث/ العنصر الأول) وبـ "الاندفاقات المنفلتة" تارة (انظر: الفصل الثالث/ العنصر الثاني) و بـ"الانفلات" تارة أخرى (انظر: الفصل الثالث/ العنصر التاسع).

ـ يُترجِم «mouvement de décodage» (M.P) p. 410 بـ"حركة إلغاء التقنين" ص554 من الترجمة.

ـ يُترجِم «Décodage+397 p. 396» بـ"إبطال التقنين" ص537 من الترجمة.

ـ يُترجِم «Décodage» p. 273 بـ"لا تقنين" ص372

7.4 قول آخر في الترجمة بيد مرتعشة:

في الواقع كثيرة هي المواضع التي تظهر فيها الترجمة بيد مُرتعشة، فزيادة عمّا ورد أعلاه في موضوع «décodage» نرى مثلًا ورود عنوان فرعيّ من المسطح 13 من *Mille plateaux* موسومًا بـ: La puissance (ص582 من الأثر الفرنسي) تجده عند عبدالعزيز العيّادي في الترجمة موسومًا بـ: الاقتدار/ القدرة/ القوّة (ص782 من الترجمة). لماذا عدم الحسم ههنا؟ معقول أن يترك المُترجِم الحسم للقارئ؟!! يعني وكأنّه يقول للقارئ: اختر ما تشاء كلها تصبُّ في المعنى ذاته!! ثم ألَم يُفكِّر المُترجِم، وهو يُقدم على هذا التصرُّف، أنّه سيتراءى للقارئ أنّ الفيلسوفَيْن هما مَن كتبا العنوان هكذا في ثلاث عبارات؟

الارتعاش في ترجمة corpuscule

يبدو أنّ هذا المصطلح قد أتعب العيّادي في الترجمة من حيث إنّه أحد الشواهد على مأزقه في ترجمة molécule و moléculaire. فـ corpuscule يُترجم إلى "جُسيْم"، وقد أقدم العيّادي على ترجمته إلى "جُزيء" حتى لا يترك مجالًا للقارئ للريب في الهباءة والهبائي ترجمةً لـ molécule و moléculaire. ولكن في كل مرة تجتمع فيها molécule بـ corpuscule في موضع واحد أو في مواضع متقاربة، يكون المُترجِم في مأزق فيضطر إلى العودة إلى ترجمتها الصحيحة أي "جُسيم"، لأنّه لم يعد من الممكن في هذا الاجتماع أن يوهم القارئ بالمُغالطة التي وضعها حتى يُبرِّر ترجمته الهبائيّة الخاطئة. فعوض أنْ يعود المُترجِم على عمله بالمراجعة والتصويب ـ كلّفه ذلك ما كلّفه من وقت وجهد ـ اختار الاحتيال على اللغة والنص والقارئ.

ملاحظة ضروريّة في الارتعاش في ترجمة moléculaire

لاحظنا أنّ المُترجِم في بداية **أوديب ـ مُضادًّا**، أي في بداية هذا المشروع التُّرجمانيّ للنصوص الثلاثة المُتعالقة مفهوميًّا، كان يُترجم moléculaire بالجُزيْئي! ويبدو أنّه نسي مراجعة تلك المواضع الأولى، أو أنّه لم ينتبه إلى المصطلح أثناء مراجعته، ممّا أبقاه شاهدًا على ترجمته بيد مُرتعشة. ونرجِّح عدم الانتباه لأنّنا لاحظنا انفلاتات متناثرة هنا وهناك لترجمته "الجُزيئي". فلو كان المُترجِم حاسمًا في أمره من الترجمة لكان اعتمد "الهبائي" منذ أوّل استعمال. ولكن يبدو أنّه اختار ترجمة "الهبائي" بعد التقدُّم في الترجمة ولم يحترس في محو الآثار الدالّة على الخطأ الذي أصبح من بعد ذلك كارثة الترجمة. ولو لم يكن المُترجِم يُترجِم بيد مرتعشة لانتبه جيِّدًا للمواضع التي تراجع عن ترجمتها إلى "الجُزيْئيّ" حيث ستكون في نظره خاطئة وهو يراجع النص للنشر. ولكن يبدو أنّ تراجعه عن الترجمة الصحيحة يُعزى إلى رغبة منه في الإغراب بالقول ليس أكثر. وللتثبّت انظر، إن شئت، مثلًا الص84 والص85 من الأثر الفرنسي L'anti-Œdipe وما يقابلهما من الترجمة في الصفحتيْن 103 و104، أو ص297 من الأثر الفرنسي ما يقابله ص348 من الترجمة. وكما قلنا هي مواضع مُتناثرة بقيت شاهدًا على الترجمة بيد مُرتعشة.

تعليق: إنّ الترجمة بيد مُرتعشة لا تعكس سوى عدم تمكُّن من الطرح الفلسفي الذي بين يديْ المُترجِم. وفي ترجمة علميّة ومُتفلسفة لا يحقّ للمترجم تنويع ترجمة المصطلحات الإجرائيّة والمفاهيم القارّة خاصّة وأنّ أصحابها لم يُنوِّعوا في رسمها. فهذا التنويع يمكن أن يُقبل في الترجمات الأدبيّة حيث يطغى الحرص على جماليّة العبارة. أمّا في الفلسفة ـ كما في العلوم جميعًا ـ فالعبارة بميزان.|

هذه أمثلة قليلة جدًّا من بين أمثلة أخرى لا تعكس سوى

ارتباك المُترجِم في نقل النص، منها ما يمكن أن تلاحظه قارئنا العزيز في مختلف مواضع هذا التحقيق، ومنها ما لا يسعنا تقديمه حتى لا يتحوَّل تحقيقنا في الترجمة المُتفلسِفة إلى تقرير في رصد الأخطاء.

8.4 مغالطة مفهوميّة: "الشعبة" مقابل "الفيلوم" Le phylum

ينبغي أن يكون منّا على بال أنّ الفيلوم Le phylum هو مفهوم رئيس، وكذلك مصطلح إجرائي تقني ضروري في الطرح النظري عند فِلِكس غواتّاري لا يخلو منه عمل عنده. وهو مصطلح أمبيريقي حَرَكاني وحَيَثانيّ يتحرَّك في مُحايَثته لكل عملية نظرانيّة يُستدعى إليها. و"الفيلوم" مُستلهم من المعجم الإحيائي البيولوجي، والغاية من اعتماده تتمثّل في إنتاج بنية نظرانيّة دائمة الحركان الأمبيريقي، فلا تنحبس عِلميَّتُها النظريّة في موقع بحياله. ولذلك نجد "الفيلوم" لا يني يعمل ما دام ثمة إنتاج فكرانيّ. بمعنى أنّه حين يُعتمد فلسفيًّا فهو لا يُعتمد بوصفه نواة أو عنصرًا مكوّنًا في توليد مساحة تفكير بل بوصفه المحرِّك الحَيَثاني لإنتاج الفكرة المطلوبة، وشريطها الجيني المكنيّ من حيث لا يكون هذا الـ phylum إلا في مكنيّة مُجرَّدة. إذ جرت العادة عند غواتّاري أن يرد مصطلح "فيلوم" مقرونًا بالمكنيّة أي phylum machinique "فيلوم مكني". وفي هذا المستوى، نقول إنّ "الفيلوم"، وهو مكنيّ، لا يمكن أن يكون "شُعبَةً" من حيث حركانيّة المكنة وثبات الشعبة، ومن حيث الميكانيكيّة الافتراضيّة للمكنة وماديّة الشعبة وانحصارها في معنى واحد. ففي هذا المضمار المكنيّ، لا نتحدّث عن phylum إلا في صيغته الافتراضيّة النتّاجة في بُوِيُوزيس مكنيّ مجرَّد. أمّا مع "الشعبة"، فالحديث منحصر في البعد الطبيعانيّ الماديّ. ولو كان غواتّاري يريد "الشعبة" لكان اعتمد embranchement محلّ phylum، ولكن هذا التفكير بمنطق "الشعبة" ليس هو المطلوب، فالأساس في كل الاشتغال النظراني عند غواتّاري هو "الإنتاج المكني" الذي منه أتى مفهوم "اللاوعي المكني" و"التكوين التنافري المكني".

فضلًا عن ذلك، فإنّه لا يستقيم البتة ترجمة "الفيلوم" إلى "الشعبة" مع تفكير "جذموري" وإنّه من قبيل التضارب اعتماد "الشعبة" مع نص يعلن منذ جمله الأولى القاعدة التالية: الجذمور مقابل الجذر والجذموريّة مُضادًّا للجذرانيّة، الجذمور مقابل الشجرة، والتفكير الجذموري في مقابل تفكير الشجرة المعرفيّة بماهي "صورة الفكر" الديكارتي L'image de la pensée cartésienne. في حضرة هذا السياق النظراني الدّلوغواتّرياني نحن نفكِّر عَرْضانيًّا، جذموريًّا، في قطيعة تامة مع كل تفكير قطعيّ، ثابت، وجذعيّ. فكيف بالمُترجِم يأتي بالـ"الشعبة"؟! ثم كيف به يقع في تناقض مع السياق الفلسفي الذي يترجمه منذ **أوديب ـ مُضادًّا**؟ "جسد بلا أعضاء"، "جذمور"، "تحليل فُصامي"، "لا وعي جزيئي"، "مكنيّة وإنتاج مكني"، "مكنات ومكنيّة مُجرّدة"... إلخ، ثم من بعد ذلك يكتب "الشعبة"!! والغريب أنّ المُترجِم هو نفسه مَن يُشدِّد في تقديمه للترجمة على الجذموريّة. ولذلك ما ننفكّ نذكِّر بالملاحظة ذاتها، وهي أنَّ هذه المغالطة المفهوميّة، كما سابقاتها، تعود إلى عدم اطلاع المُترجِم على فكر الفيلسوف الذي يُترجمه.

ثمة كذلك خطر آخر لا يقلّ أهميّة عن خطر الانحراف الترجمانيّ وعدم تقدير المفهوم كفاية، ألا وهو كيفيّة استقبال القارئ العربي للنصّ المُترجَم وهو يقرأ "الشعبة المكنيّة"!! وهذا الخطر من الواضح أنّه لم يكن في حُسبان المُترجِم. هنا القارئ لا يدري أنَّ المقصود بالشعبة هو الفيلوم، ولا تقل لي يجب عليه أن يطَّلع على ثبت المصطلحات المُعَرَّبة في آخر الكتاب، فالأصل أن يكون النص واضحًا لقارئه بالدرجة الأولى. ثم حتى لو اطّلع القارئ على الثبت فإنّه من الصعب جدًّا أن يقدر، في كثافة المعاني النصيّة وكثافة المفاهيم والمصطلحات وفي التعقيد والتركيب الذي عليه الكتاب، أن يُمسك خيط المعنى في "فيلوم" ويفرقه عن "الشعبة" التي تنطرح أمامه على كامل النص. ولا ننسى أن مصطلح «phylum» ومفهوم «le phylum machinique» أي "الفيلوم المكنيّ" يملآن كتاب **ألف مسطح** من أوَّل النص إلى آخره، والنص كما تعلم عزيزي القارئ يمتد على نحو 880 صفحة (الترجمة). ناهيك عن تواجد هذا المفهوم أيضًا في **أوديب ـ مُضادًّا** وفي **ما الفلسفة؟**

ملاحظة: ثمة في هذا المستوى ما يُبيِّن مرة أخرى ارتعاش يد المُترجِم مع نصّه، وهو كونه يشتغل بالهبائيّ وبالهباءات من جهة (وإن كان على خطأ) ثم يعتمد "الشعبة"! من جهة أخرى. مما يدلّ حقيقةً على اشتغال المُترجِم خبط عشواء. ولا خيط ناظم للتفكير عنده. فمَن كان على فهم بيِّن ودراية كافية وإمساك رصين بالخطّ الجذموريّ، يستحيل أن يسقط في هذه التضاربات والتناقضات مهما اشتدَّت كثافة النص وتعقيده.

9.4 مشكلة النكرة والتعريف:

مسألة التغيير من النكرة إلى التعريف أصبحت ظاهرة ملفتة عند العيّادي ولا تجدها في العناوين الرئيسة للمصنّفات وحسب، بل تجدها حتّى في العناوين الفرعيّة المرفقة بتفصيل موجز للمسائل المعروضة بالعنوان الرئيسي والفرعيّ. ونحن إذ نُشدِّد على ضرورة لفت الانتباه إلى هذه الظاهرة فلأنّه من غير اللائق أن يأخذ المُترجِم المعنى الذي أورده صاحبه نكرةً

لغاية يريدها، على جهة التعريف التي لم يخترها. فالتعريف يُحوِّل العنوان من معنى فرقيّ في صيغته النكرة إلى معنى إقراريّ وحاسم بالتعريف. ويجب التنويه ههنا بأنّ مسألة "التعريف" هذه لا تُؤخذ على محمل "التحديد" فهي قد تحوَّلت إلى ظاهرة عند عبدالعزيز العيّادي تجدها حتى في متون المصنّفات، إذ كثيرًا ما يكتب عبارة بصيغة التعريف بالألف واللام وردت بالأصل نكرةً. ولأن العناوين أوضح فسندرج بعضًا منها في هذه الأمثلة:

العناوين الرئيسية:

العنوان *Différence et répétition* نكرة (يرد عند العيّادي معرَّفًا) *Capitalisme et schizophrénie* نكرة (يرد عن العيّادي مُعرَّفًا).

أوديب ـ مُضادًّا: مثال: الفصل الثالث ورد «Sauvages, barbares, civilisés» وعند المُترجِم: "البربريُّون، الهمجيّون، المُتحضّرون". عنوان فرعي أوّل: «Socius inscripteur» وعند المُترجِم: "الوحدة الجامعة المُدوِّنة". عنوان فرعي رابع: «Psychanalyse et ethnologie» وعند المُترجِم: "التحليل النفسي والإثنولوجيا". نفس الأمر يتكرَّر للعناوين 3 و4 و5 من الفصل الرابع.

ألف مسطح (ألف سطيحة): انظر عناوين المساطح 7 و9 و10 كلها وردت نكرة في الأصل الفرنسي والأستاذ المُترجِم أوْردها في صيغة التعريف.

ما الفلسفة؟: العنوان الرابع من القسم الأول، ورد: «Géophilosophie» وعند المُترجِم: "الجغرا ـ فلسفة" (ملاحظة: لم يفصل الفيلسوفان بين جيو وفلسفة، بينما فصلها العيّادي!).

10.4 خطأ نقلٍ مُفسِدٍ:

الواقع أنّه اعترضتنا الكثير من أخطاء النقل في مواضع مختلفة، ولكن تتبّعها سيأخذ التحقيق النقديّ إلى أن يكون تقريرًا في تتبّع ورصد الأخطاء، وهذا ليس شأننا في ما نحن بصدده، ولا هو توجُّه هذا التحقيق النقدي. ولكنّنا سنستثني في هذا السياق استعراض واحد من أخطاء النّقل البيّنة وغير البسيطة وقد وجب التنبيه إليه لأنه ينسحب على السياق كلّه بالتناقض وينحرف بالفكرة. لاحظ الصفحة 175 من الأصل الفرنسي لـ **أوديب ـ مُضادًّا** وردت الفقرة التالية:

«décliner alliance et filiation, décliner les lignages sur le corps de la terre, avant qu'il ait un État. Si la machine est de déclinaison, c'est qu'il est impossible de déduire simplement l'alliance de la filiation, les alliances, des lignes filiatives. On aurait tort de ne prêter à l'alliance qu'un pouvoir d'individuation sur les personnes d'un lignage; elle produit plutôt une discernabilité généralisée. Leach cite des cas de régimes matrimoniaux très divers sans qu'on puisse en inférer une différence dans la filiation des groupes correspondants.»

يُترجم العيّادي هذه الفقرة من الصفحة 206 كالآتي: "**مُزاوجة** المُصاهرة والنسب، **مُزاوجة** الأنساب على جسد الأرض من قَبل أن تكون هنالك دولة. إذا كانت المكنة مكنة مُزاوَجة فلأنّه من المُستحيل استنتاج المُصاهرة من النَّسَب أو المُصاهرات من **أصول الأنساب**. سيكون من الخطأ أن لا ننسب للمُصاهرة غير قدرة تفريد على أشخاص عترة ما؛ إنّه يُنتج بالأحرى تمييزيّة مُعَمَّمة. يذكر ليش (Leach) حالات أنظمة زواجيّة شديدة التنوُّع دون التمكّن من أن نستنتج منها فَرقًا في نَسب الجماعات المُناظرة لها".

التعليق: نحن أمام تناقض بين المعنى الأصلي والمعنى الذي تطرحه الترجمة سببه الخطأ في نقل Décliner (ما شدّدنا عليه بالأسود الغليظ في الأول والثاني) و Déclinaison (ما شدّدنا عليه بالأسود الغليظ في الثالثة). و Décliner فعل له دلالات شتّى ليس فيها أي معنى للمُزاوجة، بل تصبُّ جميعها في معاني التفريق والفصل والأفول والانحدار بل حتّى الرفض. وفيها أيضًا معاني التنويع والتفريع والتوزيع. ولذلك "يذكر ليش (Leach) حالات أنظمة زواجيّة شديدة التنوّع" في السياق ذاته. فالحديث ههنا عن التنوُّع والتنويع سيكون في Décliner الثانية. وعليه، تكون الجملة الأولى على هذا النحو: "**تفرّع مُصاهرةٍ ونَسبٍ، تنوّع الأنساب على جسد الأرض من قَبل أن تكون هنالك دولة**". أمّا Déclinaison في «Si la machine est de **déclinaison**» فهي تعود على décliner الثانية. فتكون الجملة: "إذا كانت المكنة مكنة **تنويع** فلأنّه من المُستحيل استنتاج المُصاهرة من النَّسب...".

يعني أنّ الترجمة قد أخلّت بالمعنى الأصلي. وحتّى لو لم تقع المُقارنة مع النص الفرنسي فإنّ القارئ سيقع في الْتباس سياقيّ يسحبه إليه التناقض الظاهر في السياق نفسه، إذ ما سيأتي في تكملة السياق من حديث سيرتكز على فكرة الفرق بين المصاهرة وبين النَّسب، وضربَ أمثلة على ذلك من تاريخ الجماعات والشعوب، من بينها الفرق عند الرومان مثلًا "بين الخَلَف وذوي الأرحام". ثم انعكاس هذا التفريق بين المصاهرة والنَّسب على السياسة والاقتصاد. خلاصة القول إنَّ هذا الزلل غير المُبَرَّر بالقول بـ"المُزاوجة" سينسحب بالتناقض والالتباس على كل الصفحات التالية والمرتبطة بهذه الفكرة لأنّها جميعها ستكون في مزاج من الفصل بين فكرة النسب وفكرة المُصاهرة والزواج، بينما المعنى الذي

ابتدأه العيّادي يتأسّس على المُزاوجة بين المُصاهَرة والنسب.

وأمّا في ما يخصّ **des lignes filiatives** (الموضع المُشدَّد الرابع) فإنّ ترجمتها كما وردت عند العيّادي تثير الاستغراب إذ كتب **أصول الأنساب**. فأين الأصول؟ صراحة لا نعرف. ثم كيف تصبح **filiatives** أنساب؟

إنّ ما هو واضح فقط، هو أنّ حضرة المُترجِم يؤوِّل وحده كما يشاء، ويستنبط المعاني على هواه. إن هي إلّا "خطوط نَسَبِيّة".

خطأ آخر شنيع ومُستغرَب: لاحظنا أن المترجِم من نفس الصفحة ترجم «latérale» بالعرضانيّة!! وإنّنا لَنَعْجَبُ حقَّ العَجب من هذا الخبط عشواء الذي عليه الترجمة. و Latéral.e "جانبيّ.ة" وفي بعض حالات "عَرَضيّ.ة"، بينما العرْضانيّة هي Transversalité والعَرْضانيُّ.ة هو/ هي Transversal.e والسؤال ليس فقط كيف يترجم Latérale بالعَرضانيّة!!! بل المُرعب أيضًا أنّ "العَرْضانيّ.ة" مفهوم ومنظور فلسفيّ عند غواتّاري ومن بعده دلوز، فمن الاستهتار بمكان خلطه بمعانٍ ليست معانيه، وبسياقات ليست سياقاته، خاصة وأنّ Latéral.e شيء و Transversal.e شيء آخر تمامًا. يعني لا تشابه بينهما لا في المبنى ولا في المعنى. فحين يقرأ القارئ العربيّ عبارة "العرضانيّ.ة" في مواضعها الصحيحة ويقرأها أيضًا في مواضعها الخاطئة، كيف به يُميِّز بينها؟ ثم كيف نلومه من بعد ذلك على عدم فهمه؟

11.4 الانحراف بالكوجيتو الفُصاميّ Je est un autre:

نودّ التوقّف عند هذا الكوجيتو الفُصامي الذي بات علامة دالّة على أنطولوجيا فُصاميّة بتمامها، حتى نعرض انحرافًا خطيرًا حصل في الترجمة. فهذا الكوجيتو الفُصاميّ أنتجه فِلِكس غواتّاري للتعبير عن وضعيّة أنطولوجيّة فُصاميّة حاكمة وغير مَرَضيّة، وقد ورد ذكره في المتون الثلاثة في مواضع مختلفة. وهذه العبارة الأيقونيّة «Je est un autre» كان غواتّاري قد استلهمها من الشاعر الفرنسي أرتور رامبو، ولنا قولٌ مُفصَّل في شرح وتوضيح وفسر العبارة والكوجيتو الفُصاميّ والأنطولوجيا الفُصاميّة (L'ontologie schizo) في كتابنا **تأمّلاتٌ فُصاميّة على منوال غواتّرياني** (التأمّل الأول)، وقد ترجمناه بـ: أنـــا غيرٌ/ و بـ: أَنَـــهُ غَـيْـرٌ. ولا يمكن بأي حال من الأحوال التعاطي مع هذا الكوجيتو الفُصاميّ الذي يتضادّ مع فلسفات البيذاتيّة من جهة ومع فلسفات الأنا من جهة أخرى، على أساس فلسفة غيريّة وفي سياق فنومينولوجيا مُعاصرة تقرأ علاقة الأنا والآخر. ولن نفتح ههنا بابًا في شرح وفسرٍ قد يطول على حساب التحقيق، خاصّة وأنّنا قدّمنا ذلك في الكتاب المذكور، وحتى في كتابنا **رسالة في القُبح** وفي مقالتنا "مُقدِّمة في الفلسفة العَرْضانيّة".

كيف يُترجم العيّادي Je est un autre في المتون الثلاثة؟ يترجمها: "أنا هو آخر". من المعلوم أنّ المقولة "أنا هو آخر" لا تقابل في اللسان الفرنسي «Je est un autre». والعيّادي ضليع باللسانيْن الفرنسي والعربيّ فكيف يسقط هكذا سقطة في نقل عبارة لها تاريخها من حيث هي عبارة لرامبو أولًا، ومن حيث باتت صيغة قولانيّة وأمبيريقيّة للتعبير عن أنطولوجيا فُصاميّة عند فِلِكس غواتّاري الذي جعل منها عنوان كوجيتو فُصاميّ يضرب بكل الإرث الفنومينولوجي لفلسفات البيْذاتيّة L'intersubjectivité وذلك في فهم مستحدث ورؤية مُغايرة لضرب من "الأنطولوجيا الفُصاميّة". ولأنّ فِلِكس غواتّاري ينقد هذا التفكير البينذاتيّ ويُعارضه، يغدو من غير الممكن أن تكون "أنا هو آخر" هي توجّه فلكس غواتّاري. وجيل دلوز تقريبًا لا يختلف عن غواتّاري في الإعراض عن تفكير الغيريّة بمنطق مفكّري وفلاسفة عصره، جماعة الـ"أنا هو آخر" و"الذات عينها آخَـر"[18].

والخطر في تغيير وجهة القول من الترجمة لم يتوقّف عند هذا الحدّ، بل تجاوز ذلك أيضًا إلى تغيُّر الصياغة في استعمالات أخرى تكون مرتبطة بالمعنى الذي يرمي إليه الكوجيتو الفُصاميّ. فمثلًا حين يأتي قول كـ: «Je est un mot d'ordre» (*Mille plateaux*, p. 107) كيف يمكن ترجمته يا ترى إن لم يكن المُترجِم على بيّنة من أمر هذا الكوجيتو؟ فلا نعجب إذًا حين تنحرف الترجمة لتُخرج هذا الخبط: "ضمير المُتكلّم أمر" (**ألف سطيحة**، ص146)، تخيَّـل عزيزنا القارئ تُرجمت العبارة على هذا النحو: "ضمير المُتكلِّم أمر"!! نتساءل ههنا: أين إعراب ضمير المُتكلّم من الفعل؟ لماذا أسقط المُترجِم الـ est؟ ثم لماذا هذه الصياغة الركيكة؟ ألا يمكن أن تكون الترجمة لـ «Je est un mot d'ordre» مثلًا: "أَنَـــهُ أَمْرٌ". هذه الصياغة التي اقترحناها من شأنها أن تُلفت نظر القارئ إلى أنّ ما ورد في المتن الأصل ليس اعتياديًّا، خاصّة وأنّ تكملة الجملة جاء فيها حديث عن الكوجيتو الفُصاميّ، الأمر الذي يفرض على المُترجِم الامتناع عن التصرّف في النصّ على هواه أو سوقه إلى عيّه.

جاء في الأثر: «... JE est un mot d'ordre. Un schizophrène déclare: '*j'ai entendu des voix dire: il est conscient de la vie*". Il y a bien en ce sens un cogito schizophrénique, mais qui fait de la conscience de soi la transformation incorporelle d'un mot d'ordre ou le résultat d'un discours indirect. Mon discours direct est encore le discours indirect libre qui me traverse de part en part, et qui vient d'autres mondes ou d'autres planètes. (…)

quand on demande qu'elle est la faculté propre au mot d'ordre, on doit bien lui reconnaître des caractères étranges: un espèce d'instantanéité dans l'émission, la perception et la transmission des mots d'ordres: une grande variabilité, et une puissance d'oubli qui fait qu'on se sent innocent des mots d'ordre qu'on a suivis, puis abandonnés, pour en accueillir d'autres; ….» (M.P) p. 107.

ترى عزيزي القارئ كيف أنّ «JE est un mot d'ordre» ليست جملة عابرة حتى يقوم المُترجِم بلفلفتها كيفما كان. إنّه بصنيعه هذا مع الكوجيتو الفُصاميّ إنّما يُعبِّر عن عيِّه من جهة، وعن استهتاره بالنصّ وبعلم الفيلسوف من جهة أخرى.

12.4 «Planomène» "مِسطاح" (مُطاع صفدي) أو "مُسطّح تائه" (عبدالعزيز العيّادي)؟

نعلم أنّ مُطاع صفدي كان قد ترجم «Planomène» "مِسطاح" (انظر **ماهي الفلسفة؟** ترجمة صفدي 1997) بينما يترجم العيّادي المفهوم إلى "مُسطّح تائه" في **ألف سطيحة وفي ما الفلسفة؟** والواقع أنّنا تفاجأنا من هذه الترجمة للعيّادي لأنّها ترجمة غريبة عن كامل السياق الفلسفي في المصنّفات الثلاثة، كما أنّها غريبة عن منظومة المساطح التي يعمل بها الفيلسوفان. فمن الغرابة بمكان أن يدلّ «Planomène» عن "مسطّح تائه" جنبًا إلى جنب مع مسطّح مُحايثة ومُسطّح اتّساق Plan de consistance (يقول العيّادي "مُسطّح قِوام" ولسنا مقتنعين بهذه الترجمة لـ consistance، ولكنه اجتهاد لا يُفسد وإن لم يكن الأنسب في تقديرنا). وما يُثير الغرابة أيضًا أنَّ الكتابة في المصنّفات الثلاثة كانت على غاية من الاتّساق والدقّة والكثافة المفاهيميّة ومن الاقتدار منقطع النظير على التنضيد التنافريّ في اشتغال فكرانيّ شديد التعقيد، ممّا لا يترك مجالًا للتيه. أمّا الأكثر غرابة هو كون هذا المُسطّح أي Planomène هو مسطّح تركيب وظيفته تركيب مختلف العمليّات الشِّـدِّيّة الافتراضيّة حتّى تتّسق وتتحايث. وهذا المسطّح هو الوجه الآخر "لمسطّح الاتّساق". والواقع إنّ العمليّات الافتراضيّة على المسطّحات الثلاثة: اتّساق consistance ومحايثة immanence وتركيب planomène لا تنفرق عن بعضها البعض بشكل بيِّن. أمّا ماذا يقصد العيّادي بهذا الاختيار؟ أو فيمَ كان يُفكِّر تحديدًا وهو يختار هكذا ترجمة غريبة عن الفلسفة التي يترجمها؟ فإنّ الإجابة تصعب محلّ المُترجِم. ولكن إنْ كانت الغاية من هذه الترجمة هي مُخالفة مُطاع صفدي إذ سبق أن تَرجَمَ «Planomène» إلى "مِسطاح" فالحق نقول إنّها مُخالفة غير موفّقة. إذ عكست هذه المُخالفة تناقضًا غريبًا وعجيبًا لا يمكن للمرء إلا أن يَعْجَبَ منه. ولفهم الخلط والتناقض الذي عليه ترجمة العيّادي لـ «Planomène» بالـ"المُسطّح التائه" يكفي فقط النظر في الفقرة الأولى من الفصل الثاني من **ما [هي] الفلسفة؟**[19] المُعَنْوَن بـ: "مُسطّح المُحايثة". وحتّى من غير مقارنتها بالنص الأصلي ولا بالفقرة ذاتها عند مُطاع صفدي من ترجمة الكتاب ذاته، ستجد السياق يحمل من التناقض ما يكفي القارئ جهد التحقيق. فـ"المُسطّح التائه" غريب في سياقه.

وثمة موضع قوليّ واضح وصريح دلَّ على خطأ العيّادي هذا، كما دلَّ على تناقضه وارتباكه في الترجمة، وهو ما نجده في خاتمة *Mille plateaux* من الصفحة 632 من الأثر الفرنسي وقد جاء فيه:

«Le plan de consistance ou de composition (planomène) s'oppose au plan d'organisation ou de développement. (…) La consistance réunit concrètement les hétérogènes, les disparates, en tant que tels: elle assure la consolidation des ensembles flous, c'est-à-dire des multiplicités du type rhizome.»

يعني أنّ مُسطّح الاتساق (يقول العيّادي "القوام") هو والـ planomène واحد، وهذا الأخير كما هو مبيَّن أعلاه "مسطّح تركيب" Plan de composition وعليه يكون القول بـ"المِسطاح" أجدى. ثم تخيَّـل أنّ الجملة الأولى من هاته الفقرة يترجمها العيّادي كالتالي من الصفحة 849: "مسطّح القِوام أو التركيب (المسطّح التائه)"!!!! كيف لهذا المسطّح الذي هو ذاته مسطّح "قوام وتركيب" أن يصبح هو ذاته تائهًا في نفس العبارة؟!. والعجيب أن هذا ليس خطأ سهوٍ، إذ يُصرُّ المُترجِم على اعتباره مُسطّحًا تائهًا، ويعتمده على هذا الأساس في كتابَيْن و *Mille plateaux*) (*Qu'est-ce-que la philosophie*? ومن غرائب الأمور أنّ هذا المُسطّح الذي ارتفع في كتاب *Qu'est-ce-que la philosophie*? إلى أن يكون ومسطّح المُحايثة صنوان، يصبح عند العيّادي مُسطّحًا تائهًا!! (انظر في ذلك ما جاء في الفقرة من **ما [هي] الفلسفة؟** التي أشرنا إليها في بداية حديثنا).

خلاصة

إنّ كل ما جئنا على ذكره، وكل ما حاولنا إيجازه قدر الطاقة حتى لا يصبح تحقيقنا مُمِلًا، وحتى لا يتحوَّل إلى تقرير في رصد أخطاء الترجمة؛ رأس الأمر فيه يتلخَّص في إقبال المُترجِم على نصوص لا يعرف سياقها العلميّ ولا مشروعها النَّظرانيّ. ونكتفي بالقول التالي: إنَّ المُترجِم الحصيف هو الذي يعرف حدوده مع النصّ ومواقيت الوقوف، وحتى الانسحاب. فالواجب العلميّ والمسؤوليّة الإتيقيّة أمام

النص تُحتِّم على المُترجِم التراجع أمام ما يجهل أو الانقطاع حتى التحقّق والقراءة والتثبّت. أمّا هذا التصرُّف الذي أتى به العيّادي في كل السياقات التي رأيناها لا يعكس سوى التسرُّع والاستعجال في إنتاج الترجمة، أو الاستخفاف بالقارئ الذي يُشاع أنّه لا يقرأ ولا يتحقَّق. ولكن الأكيد أنّه يعكس يمينيّة دُلوزيّة عمياء ظنًّا منه أنّ فكر جيل دلوز يطغى على المعنى وعلى المفهوم وحتّى على شريك التصنيف الذي اتّضح أنّه ليس صاحب سهم في الكتابة وحسب، بل صاحب النّظر الرئيس في **رأسماليّة وفُصام** بجزْأَيه. وهو طغيان لا يوجد إلا في ذهن المهووسين بجيل دلوز، بينما دلوز براءٌ منه براءة الذئب من دم ابن يعقوب.

د. غـادة زقـروبـة
باحـثة من تـونـــس

الهوامـــش

(1) انظر إن شئت مادة (نقد) في لسان العرب لابن منظور.
(2) نعتمد هذا الرسم في الإشارة إلى الكتابة المُشتركة بين ج. دلوز وفِ. غواتّاري.
(3) Antonio Negri, «sur Mille plateaux», in Chimères. Revue des schizoanalyses, N°12, Automne 1992, traduit de l'italien par Gisèle Donnard.
(4) Manola Antonioli, Géophilosophie de Deleuze et Guattari, éd. L'Harmattan, Paris 2003, p. 11.
(5) ليست هذه هي المرة الأولى، إذ فتحنا هذا الملف مرارًا وتكرارًا في المداخلات والمقالات وفي كتابيْنا "رسالة في القُبح" و"تأمّلاتٌ فُصاميّة على منوالِ غواتّريانيّ" الصادران عن دار النهضة العربية في بيروت 2024 و2025.
(6) ثمّة ظاهرة غريبة منتشرة ومتواترة بين عموم المختصّين العرب في فلسفة جيل دلوز في ما لو أمكن نعته باليمينيّة الدلوزيّة في الفلسفة! وهي ضرب من التوقير المُبالغ لجيل دلوز بلغ حدّ الانحياز العاطفي إلى الفيلسوف! بينما الأصل في المسألة هو العلم والعِلمان وهذا هو الفاروق في القراءة والبحث والتفكير. ومن المريب بحقّ عدم الإتيان على ذكر غواتّاري عندنا عربيًّا، ولا على تأثيره الواضح والمعروف في تفكير جيل دلوز.
(7) Manola Antonioli, Géophilosophie de Deleuze et Guattari, éd. L'Harmattan, Paris 2003, p. 11.
(8) ص8 من الأصل الفرنسي، وص14 من الترجمة.
(9) جيل دلوز وفليكس غواتّاري، الرأسماليّة والفُصام 2، ألف سطيحة، ترجمة وتقديم عبدالعزيز العيّادي، منشورات الجمل الشارقة ـ بغداد 2023.
(10) Antonio Negri, «sur Mille plateaux», in Chimères. Revue des schizoanalyses, N°12, Automne 1992, tr. de l'italien par Gisèle Donnard.
(11) Ibid. p. 79.
(12) Ibid., «il y a dans Mille plateaux au moins quatre thèmes fondamentaux, que nous pouvons essayons de reprendre. Le premier, c'est la théorie de l'expression et 'des agencements'. Le second, c'est la théorie des 'réseaux'. Le troisième, c'est la 'nomadologie'. Le quatrième, c'est la théorie ontologique de la surface. Quatre points, quatre dimensions qui intègrent le travail de constitution des nouvelles sciences de l'esprit, en définissant le plan sur lequel elles pourront se développer, comme produit d'une ouverture de la possibilité, mieux encore, de la potentialité de l'être.»
(13) والعبارة مُستوحاة من تعبير جدّ مائز نتذكّر أنّنا قرأناه لإريك أليز Eric ALLIEZ يصف فيه هذا الأفق النظرانيّ بـأنّه «Un horizon mouvant».
(14) انظر من بين غيره كتاب مانولا أنطونيولي السابق ذكره ص93 ـ 94 «tous les sens du mot (plateau) renvoient à une étendue plane»
(15) "هذه السلاسل هي دائمًا محلّ الانفصالات في كل الاتّجاهات، في كل مكان انفصامات قيمتها في ذاتها، ولا يجب خاصة طمرها. تلك هي إذًا السمة الثانية للمكنة: انقطاعات ـ انفصالات متمايزة عن الانقطاعات ـ الاقتطاعات. فهذه الأخيرة تتعلّق بالتدفّقات المُطّردة، وتحيل على الموضوعات الجُزئيّة. أما الأولى فتتناول السلاسل المُتغايرة، وتعمل من خلال قِطع قابلة للفصل، من خلال مخزونات متحرّكة، بصفتها كُتَلًا أو آجرّات طائرة". أوديب ـ مُضادًّا، ص65 من الترجمة. لفظة "انفصامات" التي أشّرنا إليها وردت في الأصل des schizes وهي لا تعني انفصامات بل انقسامات صوريّة وافتراضيّة.
(16) وهو لويس هيلميسليف (أو ييلميسليف) Louis Hjelmslev (1899 ـ1965) عالم اللسانيات النمساوي المعروف.
(17) انظر لسان العرب لابن منظور، مادة "سحن".
(18) ونقصد ههنا بالطبع كتاب بول ريكور Soi-même comme un autre.
(19) نكتب العنوان بهذا الرسم لاعتبارات الترجمتيْن: واحدة لمُطاع صفدي وردت بعنوان ما هي الفلسفة؟ سنة 1997 عن مركز الإنماء القومي ـ بيروت، والثانية لعبدالعزيز العيّادي وردت بعنوان ما الفلسفة؟ 2024 عن منشورات الجمل بيروت ـ بغداد.